

أنور الجندی

تاج الصحاح الأمثلة

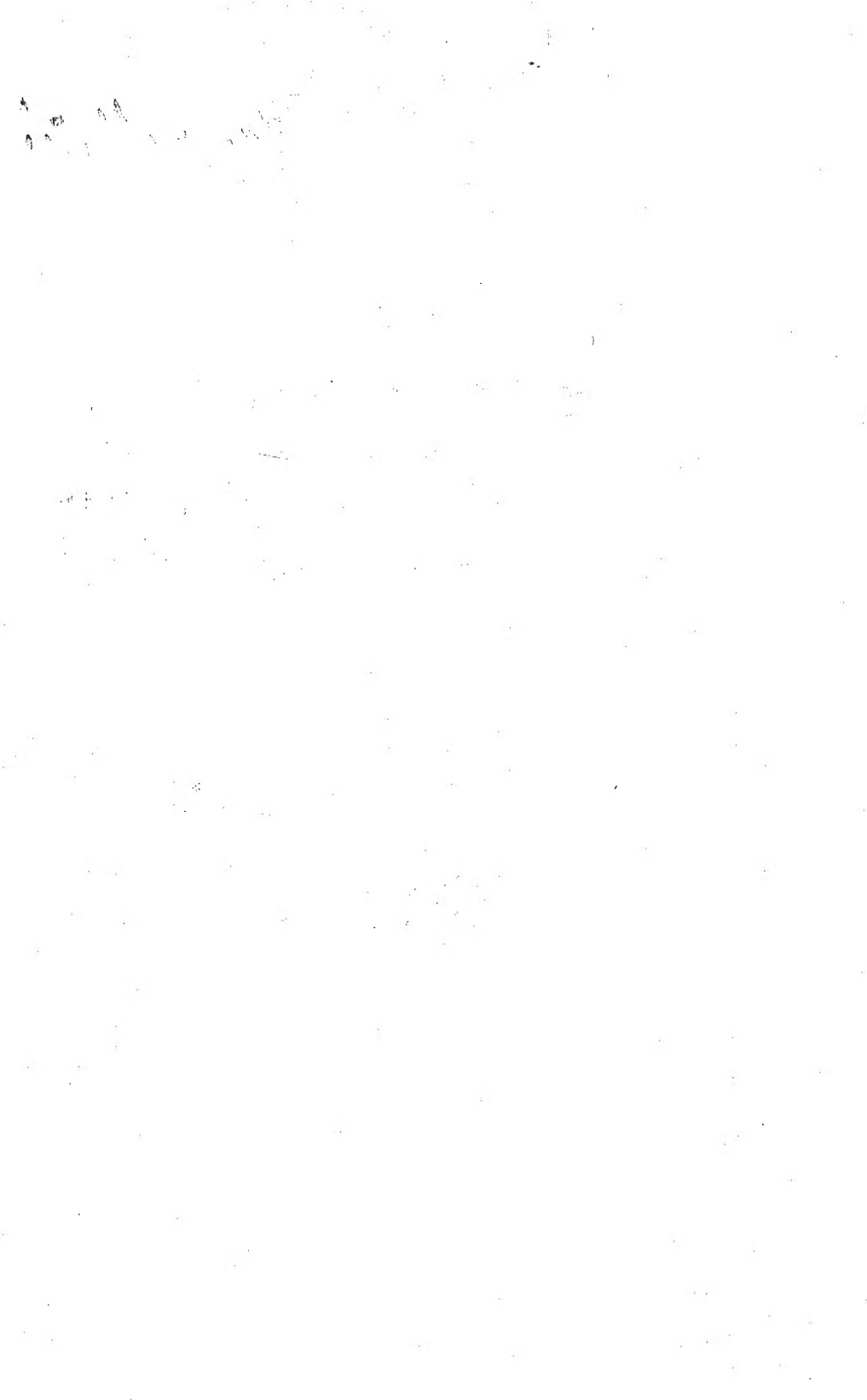
١

المنار - محمد رشيد رضا

١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

توزيع
دار الانصار
٨ شارع البستان خامية شارع الجمهورية
عابدين ق ٩٣١٠٨١



موسم ———— وعاء

تاريخ الصحافة الإسلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ — ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ — ١٩٨٠)

١ — مجلة المنار — رشيد رضا

٢ — مجلة الفتوح — محب الدين الخطيب

٣ — صحف الاخوان — حسن البنا

٤ — مجلة الأزهر — (فريد وجدى — محب الدين الخطيب — الزيات)

٥ — الصحف الإسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)

(١٩٤٠ — ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى تاريخ الصحافة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الإسلامية منذ نشأتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الامر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الاولى : حتى نهاية الحرب العالمية الاولى :

وبعد فالصحافة الإسلامية هي قطاع من الصحافة العربية التي عرفها العالم الإسلامي في العصر الحديث ، توصف بالإسلامية لتمييزها بدراسة تشئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف في تركيا ومصر ولبنان في هذه الفترة المبكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وأبرز الصحف التي عرفت بالاهتمامات الإسلامية هي (ثمرات الفنون) التي عاشت فترة طويلة في لبنان (١٨٨٥ - ١٩٠٨) عبد القادر قباي (وهي تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

اما في مصر فان أبرز الصحف اليومية التي عنيت بقضايا العالم الإسلامي فهي المؤيد (على يوسف) التي صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفي هذه الفترة صدرت مجلستان شهريتان اسلاميتان هما :

المتسار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدي) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) ان توقفت بينما استمرت (المتسار) حتى توفي صاحبها ١٩٣٥ .

اما أبرز المجلات الشهرية الإسلامية فهي (العروة الوثقى) التي اصدرها الأفغاني ومحمد عبده في باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا ان (المؤيد) هى الصحيفة الاسلامية اليومية الاولى ويرتبط بها فى كثير من المواقف والاحوال والواقع ان جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الاسلامى وتعالج القضية الوطنية من مدخل اسلامى اساسى .

وقد اصدر مصطفى كامل (الحزب الوطنى) فيها بعد مجلة العالم الاسلامى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) .

ثم اصدر الشيخ عبد العزيز جاويز مجلة (الهداية) .

ولما أن هاجر الى تركيا اصدر مجلة العالم الاسلامى (١٩١٦ -

١٩١٧) .

وفى هذه المرحلة التى تنتهى بالحرب العالمية الاولى نجد عددا من المجلات العربية والاسلامية خاصة تلك المجلات التى صدرت عن الجمعيات الاسلامية :

مجلة جمعية الملايىء ١٩٠٦ خليل حمدي حمادة .

مجلة مكارم الاخلاق الاسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)

وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الاخلاق) ١٨٨٧ (احمد الشريف)

كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفقى و ابراهيم مصطفى) ١٨٨٩ (وهى المجلة التى أسسها تاجرها وليم ولكوكس فيها بعد لنشر دعوته الى العامية) .

مجلة الملايىء العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت فى هذه الفترة لها طابع اسلامى ولكنها ليست

اسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢

مصباح الشرق ١٨٩٨

الموسوعات ١٨٩٨

مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعمرة الوثقى ويرى أنه امتداد لها

البريطاني بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطاني الذي كان جاثما على البلاد . وبين صدور العروة الوثقى (١٣٠١ - ١٨٨٤) و صدور المنار ١٣١٥ (١٨٩٨) أربعة عشر عاما لم تصدر فيها مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشانلي الأزهرى وهى مجلة ذات طابع خطابي ونمطي (والأستاذ الشانلي هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة المنار هى التى أدخلت أسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام) بدأت ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الأزهر (حسن رفقى و ابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشانلي - الأزهر - فى التعريف بالصحافة الاسلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم تساعرا اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، و مرآة نوى الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم ترفقا وغريا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناة ستفر او معاناة حرجة فكم حملت مخترعات ووضعت اساسا وزيت بين وبنات وهذبت رجالا وشيوخا وهى السبب الاكبر الذى نهض بالتغربين الى هذا الحد الذى نراه حين اعتاصوا بحرب الاهل عن حرب المدافع ، واستنفقوا بالطروس عن الديناميت وبالخبر عن التوربين ، لم يزل بين اظهرنا معشر التبرفين المسلمين من يلفت لهذا الامر الجليل (الصحف الاسلامية) بلادهم ملاى بالجرائد الدينية التى تهتر لدعاء الله وغيرهم سبيل الدعوة منشأ الطفل وقد عرف اباه وامه والمعبود الذى يبين بالتقرب اليه .

وان الشرق مفعم برجال الدين التقاة وفرسان الكتابة المحييين الذين
عرفوا الامر معرفة خير واستضاءوا الفهم

في مدارس الأجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حبا الاسلام فاذا صادفتهم شبهة او سمعوا نغمة من آخر طاروا اليها فرحا . وهذا ما اثار في قلبي حمية العمل والاجتهاد في بث تلك المبادئ في قلوب الشباب والعامه من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالاذان ولا يرون الا يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها باشراف مبحث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لآخواننا المسلمين بيان امور دينهم وتلهم على طرق النصيح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بفهمهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها باشراف مبحث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بأبواب مختلفة منها :

ادبيات - أمثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاسلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصي ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره .. الخ الخ .

هذه هي طلائع الصحافة الاسلامية التي اعطاها اصالتها فريد وجدى ورشيد رضا .

مجلة الحياة (١٣١٧ - ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : ان مقصد (الحياة) المجلة - هو الحيلولة بين مكاريت الاحاد واذهان أبناء المشرق ولذلك فهي ستجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاسلامية هي روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا في الازهان وستسلك لهذا الغرض المسالك العصرية في تأييد آقاويلها بالحجج الفلسفية الدامغة .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية في العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وستعتمد في ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشأتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش اصول العقائد

في أذهاننا بالطرق العصرية أنفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء
وليس بعد المشاهدة حجة لرتاب .

وليس قصدنا إلا خدمة الأقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :

التمدن والتدين — تغذية الجنان ببدايع الأكوان — أثبت وجود الله
تعالى — ما وراء المادة .

وأنا وإن كنا لا نود فائدة مادية ، من هذه المجلة ، إلا أننا لا نود
أيضا أن نخسر فيها كثيرا وأنا لم نتشجع على تحمل هذه الخسائر المادية
إلا لما نعلمه من شغف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (وأشار الكاتب
إلى آثاره السابقة على انشاء المجلة وخاصة كتاب الحقيقة الفكرية في
أثبات وجود الحضرة الالهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد أسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت أصول الدين الإسلامي الحنيف في عقول أبنائه بنتائج
العلم العصري وإقامة الأدلة العلمية والفلسفية على أن هذا الدين الكريم
هو منتهى ما يصل إليه الإنسان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه إليه
استعداداته الفطرية المنزوية في طي مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا في سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا
نتائج أفكار قادتها وثمرات كدهم وكدهم في تأييد أصولنا الإسلامية ، مراعاة
لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأميل العامة رأينا أن اندفاق مذبذبة
الغرب على الشرق ستجر معها ما يلبسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة
فوجدنا أن أجل خدمة تؤدي للإسلام هي وقوف بعض بنيها على مآرب ذلك
التيار المتدفع بمصفاة من العلم لتحجز ما تحمله من قدر وتترك السبيل
لسلسبيله الصافي ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تخرج . وقد تبين العالم
أجمع أن ترك ذلك التيار على ما هو عليه من كدر ودجل قد جر بعضا منا
إلى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا إذا كانت هذه
نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا .

وقد مضى فريد وجدى في منهجه هذا الذي أطلق عليه :

« الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الإسلام »

وهو مدخل حقيقى لما أطلق عليه من بعد علم مقارنات الأديان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وأن كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقة الشيخ محمد عبده ، فان فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه يتفرد بالجناح الى دراسات الفلسفة والعلم الحديث وأجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلة الحياة فترة لم تطل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسة تحرير مجلة الأزهر وساد فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ سرييا . وقد وقع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية أخرى كما يظهر فى مساهلات مجلة الفتح (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

أما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، إذ أنه يعتمد على أسلوب أهل السنة والجماعة وهو أصح المذاهب وهو التطور الطبيعى للأسلوب الذى بدأه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجدد) وصولا الى منهج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صفح الاخوان) .

وفى هذه المرحلة نجد أن هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نذكر أن مجلة الأستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث أن توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

أما مجلة الهداية التى أنشأها الشيخ عبد العزيز جاویش (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المسلمين في العالم فتحدثت عن مسلمي بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الإسلام في أفريقيا وبين روسيا وفارس والإسلام في الهند وعن وفد مسلمي الصين إلى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وأنشاء نادي دار العلوم للغة العربية واهتمت بإحياء التراث الإسلامي ، والكلام عن الشريعة الإسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التي يروجها المشككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو إلى التمسك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جايوش : كان حقا على كل مسلم نور قلبه الإيمان أن يهيب بالمسلمين داعيا إياهم إلى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالنواجز مستمسكين منه بالعروة التي لا تنفصم ، مستعصمين منه بالحبوة التي تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتي به الطاعنون فيه من التشبه التي نقوى ضعاف اليقين فقد طمى سيلها وسكت عن تنفيذها الذين من أخص خصائصهم أن يفتندوها ويدحضوها حتى كثر سـوواد الطاعنين من القساوسة والراهبان ولم يعذر السفهية إلا أن يؤتى دواه وقلما ، رأينا وسمعنا ذلك فعن لنا أن ننشئ مجلة تفرغ بعضها لإذاعة (أسرار القرآن) الذي هو دستور السعادت . . ولرد تلك التشبه وإدحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وتفرغ من بعضها قسما لاتعاش لغة العرب من عثارها مما نأتى به من التحقيقات النفوية والإشارات الأدبية فقد أصبحت الألسنة ترتضخ عجمه لبست الأصيل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة أبحاثا أخرى) .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جايوش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا إلى إصدار مجلته ولكنه توقف بعد قليل — وإن كانت له مثل فريد وجدى مؤلفات مشهورة — أما الذي صمد في الحقيقة من تلاميذ الإمام الثلاثة فهو رشيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية

(١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هي أدق مراحل العمل الصحفي الإسلامى فقد صدرت فيها مجلات إسلامية كثيرة أبرزها :

- ١ - مجلة الفتح : مكتب الدين الخطيب ١٩٢٦
- ٢ - مجلة الأزهر : ١٩٢٠ صدرت تحت اسم نور الإسلام ثم عدلت
- ٣ - صحف الإخوان المسلمين : [١٩٢٢ أسبوعية (الإخوان)
النذير ١٩٢٨ الأسفود ١٩٢٨]
- ٤ - الشباب المسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشباب)
- ٥ - مجلة الشهاب (عبد الحميد بن باديس) قسنطينة ١٩٢١ .
- ٦ - التقدم الإسلامى : دمشق ١٩٢٥/١٩٥٤ - أحمد مظهر العظمة
(وما يزال مستمرة الى اليوم) وهى من أبيل المجلات التى يجب
دراستها

- ٧ - الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٢٩
- ٨ - الهداية الإسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .
- ٩ - الهدى النبوى - ١٩٢٧ - محمد حامد الفقى
وفى أثناء العائى الإسلامى صدر عدد من المجلات الإسلامية منها :
الهدى - ماليزيا - عبد الواحد الجبائى العلوى ١٩٢١
مرآة المحمدية - جاكارتا - محمد على قدس ١٩٢٧ .
المرشد - بغداد - محمد الحسنى / صاحب الشهرستانى ١٩٢٥ .
الإصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الفقى ١٩٢٠
الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الإصلاحي ١٩٢٩ .
أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥
شمس الإسلام (تونس) محمد الصائغ بن مراد - ١٩٢٧ .
القضايا التى عالجتها الصحافة الإسلامية :
وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الإسلامية المثارة فى هذه
المرحلة :

قضية الدعوة الإسلامية : صحف الإخوان

قضية الخلافة (المنار)

قضية التفريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار

والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدي)

قضية العقائد : مصطفى صبرى — فريد وجدي — محب الدين
الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكستان ،
فلسطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة قضايا النفوذ الأجنبى
وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركت تراثا ضخما
واسعا فى حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو أن نتمكن من القيام بجانب
منه فى دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار — الفتح — صحف الاخوان — الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة فى معالجة قضايا التبشير والاستشراق
والتعريب وبرز عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى

٣ — المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

فى هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة ابرزها :

الدعوة — مصر — صالح عثماوى — ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦)
وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع — الكويت — جمعية الاصلاح ١٩٧١

• جوهر الاسلام (تونس) .

• دعوة الحق (المغرب) .

• الأصالة (الجزائر) .

• اللواء الاسلامى : احمد حمزة .

- البصائر — الجزائر — محمد البشير الابراهيمي ١٩٤٧
الشهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧
جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦
المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١
الوعى الاسلامى : الكويت
الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤
منار الاسلام : ابو ظبى
منبر الاسلام : (وزارة الاوقاف) ١٩٤٨
البريد الاسلامى : محمد توفيق احمد ١٩٤٣
الامة : قطر
حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعى) .
صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤
رابطة العالم الاسلامى : محمد سعيد العامودى (رابطة العالم
الاسلامى) مكة
وواصلت الشبان المسلمين ، الاعتصام ، الأزهر ، الفتح صدورها .
البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتى) ...
الدعوة : المملكة السعودية ..
المسلم : محمد زكى ابراهيم ١٩٥١

هذه عجالة لاستعراض رعوس موضوعات واسماء الصحف ، نقدمها
بين يدي الدراسة الاولى عن (العروة الوثقى والمنار) على ان نعد في نهاية
المطاف بحثا مستفيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل
لواقعها وآثارها على ان تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :

اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :

اما صحافة الدعوة فهي التي تتحدث عن التربية والتكوين الخلقي

والاجتماعى للشباب المسلم ولا تقدم له الا الأبحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة في اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهي التى تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذى نراه واضحا في المرحلة الاولى من مجلة الأزهر خلال تولى فريد وجدى رئاسة تحريرها (١٩٣٥ - ١٩٥٦) حتى وفاته .

اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهي صحافة دعوة . وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف لعبت في المراحل التالية لها واخذت وضعاً اشد قوة وحيوية مما كانت في اول امرها ، كما ان هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية او وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الاولى التى يقوم بها افراد او جمعيات اسلامية وهي اكثر حرية واكثر تعمقا في معالجة المشاكل والقضايا وابرار وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التى ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا او بمواقف بعض الاقطار بالاقطار الاخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت اسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة في العصر والبيئة مما ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور في تلك القضايا .

سادسا : ابرز القضايا التى عولجت هي قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم العربى ومختلف قضايا المجتمع الاسلامى والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة وأوراق عمل نافعة .

صدرت في السنوات الاخيرة مجلات اسلامية اخرى خاصة في القاهرة :
اللواء الاسلامى والنور والتصوف الاسلامى .

سابعا : غطت الصحافة الإسلامية جميع المؤتمرات الإسلامية التي عقدت لدراسة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الإسلامي والملتقيات الإسلامية في الجزائر والرياض وجاكرتا ومكة المكرمة . ومؤتمر السنة والسيرة في اسلام آباد واستانبول والدوحة .

ثامنا : كشف مخططات الاستشراق والتعريب في عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك الشبهات وأبانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية .

تاسعا : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات في مجلات الرسالة والهلال والثقافة .

والصفحات الإسلامية السياسية التي كانت تنشر في الصحف اليومية : البلاغ وكوكب الشرق والجهاد .

وفي المرحلة الثالثة تلك الصفحات الإسلامية الأسبوعية في الأهرام والجمهورية وأخبار اليوم ، ومدى الدور الذي تقوم به (مع ملاحظة ان الجمهورية أصدرت ملحقا دينيا بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فإنه يجب دراسة ظاهرة صدور صحيفة يومية اسلامية وكان هذا امل من آمال المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ — ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير في اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة اخرى .

كتاب الصحافة الإسلامية

كُتِبَتْ هذه الصحافة الإسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين
استفلاوا بالصحافة والدعوة الإسلامية في مقدمتهم :

أحمد حمزة : لواء الإسلام	محب الدين الخطيب :
أحمد عارف الزين : العرفان	الزهراء ، الفتح ، القبله
أحمد مظهر العظمه :	محمد الهياوى :
التمدن الإسلامى	محمد أبو زيد عثمان : النذير
أحمد عيسى عاشور : الاعتصام	محمد شاهين حمزة :
أحمد الشاذلى الأزهرى :	الرابطة الإسلامية
الاسلام	محمد البشير الإبراهيمي : البصائر
أمين الراقعى : الاخبار	محمد حامد الفقى : الهدى النبوى
أمين عبد الرحمن : الاسلام	محمد الخضر حسين :
أحمد أنس الحجاجي :	الهدى الإسلامى
منزل الوحي	محمد عطية خميس : صوت الاسلام
حسن البناء :	محمد زكى ابراهيم : المسلم
(اصحف الاخوان) و (الشهاب)	محمد رشيد رضا : المنار
حسن عبد المقصود : الانتصار	محمد محمد علوان :
سعيد رمضان : المسلمون	الاسلام والتصوف
صالح عثماوى : الدعوة	محمود أبو الفيض المنوفى :
على الفاياتي : منبر الشرق	العالم الإسلامى ، لواء الاسلام
عمر التلمسانى : الدعوة	محمد سعيد العامودى :
عبد الحميد الزهراوى : الحضارة	الرابطة الإسلامية
عبد الحميد بن باديس : الشهاب	محمد توفيق أحمد :
عبد العزيز جاویش :	البريد الإسلامى
العالم الإسلامى والهداية	مصطفى السباعى :
فريد وجدى : الحياة	حضارة الاسلام
ليبيه أحمد : النهضة النسائية	

(ولقد أفرزت الصحافة الإسلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا
ضخما من كتاب المدرسة الإسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة
عنهم) .

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة إطار للتحرك من داخله في
إصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الإسلامية ، هذا وبالله التوفيق ،
أنور الجندي

البَابُ الْأَوَّلُ

العـرـوة الوثـقـى

الفصل الأول : اثر العروة الوثقى فى منهج الصحافة الاسلامية

الفصل الثانى : من العروة الوثقى الى المنار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) في منهج الصحافة الاسلامية

(بين العمق التاريخى والاثر المستقبلى)

صدر العروة الوثقى في باريس (٥ جمادى الاولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت في ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (وأصدرت ثمانية عشر عددا) فكانت هذه الاضامة بمثابة دستور جامع شامل للعمل الصحفى الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدور مجلة المنار عام ١٨٩٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفكرة السلفية بكل نقائنها وايمانها وقد امتدت الى المغرب غربا والى اندونيسيا وأرخبيل الملايو شرقا عبر جميع الأقطار الاسلامية من الجزيرة العربية الى الشام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وأفغانستان .

ولقد كانت هناك صحافة سياسية قبل العروة الوثقى تتحدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقدم منهجا اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه في العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلقية العروة الوثقى ممثلة في أمرين :

أولا : كان أمام محمد عبده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيميه في الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيا : حركة التوحيد في الجزيرة العربية بقيادة الامام محمد

بن عبد الوهاب .

وكانت هذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عند قضية تحرير الفكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعالم الاسلامى ، هذه القضية التى بدأت باحتلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الأفغانى قد قدم من أرض أفغانستان وإيران والهند حيث كان النفوذ الأجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الإيرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الإسلامى » ليوافقه هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس أعلام بريطانيا فى العالم الإسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى إيران وأفغانستان عام ١٨٦٨ .

ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدأ جديدا للعمل الصحفى الإسلامى وهو قضية الوحدة الإسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الأفغانى داعيا ، وقضية تحرير الأوطان الإسلامية من النفوذ الأجنبى .

وهكذا أنشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الإسلامية منذ ذلك اليوم وإلى اليوم من خلال أهداف واضحة محددة أهمها :

اولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الأمة الى ذاتيتها الأصلية التى أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الإسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامى .

خامسا : الدعوة الى امتلاك أسباب القوة والتقدم والعلم والتمدن

دون التخلّى عن الجذور في دائرة مفهوم الاسلام القائم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان في الأمية او الفكر العالى .



وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير في الصحافة المصرية والاداء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد أقرب الى الاداء العلمى المبسط ، وهذا ما ظهر في كتابات تلاميذه والصحف التى صدرت في عهده وفي كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .



ولقد كان اثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :

في بيان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفي الحركات الاسلامية وفي الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان اكبر مظاهر هذا الاثر في مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث ان الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الاول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفي هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وأبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حنى اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العالم الاسلامى او العربى ، وذلك في صحف كوكب الشرق (أحمد حافظ عوض) ، البلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الاخبار (أمين الرافعى) .

ثم صدرت بعد الحرب مجلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نون

الاسلام» أولا ، ومجلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجلات الجمعيات الاسلامية : الشبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الأخرى التى لم تخرج على هذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقه المنار .

وفى أوربا (فى جنيف) صدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغياتى) لمعالجة قضايا الاقطار الاسلامية .

أما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :

تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصلاح ، أم القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصام

دمشق : التمدن الاسلامى .

قسيطينة : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف أخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الأعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشيخ حسين الجسر ، وظاهر الجزائرى ، والكواكبى ، وجمال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الألوسى .

فهذه المدرسة السلفية التى انشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لازاعة مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنية فى الجزائر والمغرب وتونس

في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

وأيضا تطلعت في أقطار الاسلام الى المجاهدين في سبيل تحرير الأوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى أرخبيل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (في كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة ما يلي :

« ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية وعلى الأندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا رأوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ورأوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الأعلى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صفرى في أندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا » الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار في الحركة السلفية في تونس والجزائر والمغرب على أثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان في العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا في مجلة الشهاب التى أصدرها الإمام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ أحمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سقى في الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة أصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية في الجزائر تحت اسم الفاروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائري وانها تصدرت للاستعمار الفرنسى بمقال كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ في زنزانة ضيقة .

وفي الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير في مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر في كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزح حيث يصور الحركة الفكرية في البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا في الأزهر بمصر وكلية عليكرة في الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي واحزابهم فى مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صدق لها هنا بين الشباب اذ ذاك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين فى كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى أندونيسيا وجمعيات المسلمين فى الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاسلامى لجرى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفياتى ، الاستعمار فى جزيرة العرب ، الفارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكرى اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة مهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالي ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزوع زعيم الفكر الاسلامى فى البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

ولقد امتدت المنار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفى السيد رشيد رضا ولكن مجلة الفتح التى أنشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا فى هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وحدى تلميذ الأستاذ الامام قد أشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنار من تلاميذ الأستاذ الامام فى مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم فى مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منها الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

وفي الهند الاسلامية امتدت هذه المدرسة في الشاعر محمد اقبال
والسيدين المودودي وأبو الحسن الندوي ، وفي أفغانستان وإيران لا نعدم
الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التي كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه (مدرسة الأستاذ
الامام وأثرها في اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا في أسلوبه ومنهجه
وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد
المهدى ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشيد رضا ، شكيب
أرسلان ، عبد القادر المغربي ، عبد الرحمن البرقوقي ، أحمد لطفى السيد ،
مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمد فتحى
زغلول ، إبراهيم اللقانى ، عبد الكريم سلمان ، إبراهيم الهلباوى ، عبد العزيز
جاويش ، حافظ إبراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد إبراهيم ،
حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العنانى وغيرهم .

أما في الحاضر فان مدرسة العروة والمنار فما تزال ذلك أثر واضح
في الصحافة الاسلامية القائمة الآن التى لم تخرج عن نفس الأصول العامة
التي وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التي ظهرت في سنوات
ما بين الحربين وما بعدها كسقوط الخلافة الاسلامية وأنشاء إسرائيل ،
وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقافى فانها كلها تدخل تحت
تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبى واضحة تماما لصاحبى العروة
وكاتبها رحمهما الله رحمة واسعة وأجل مؤبثهم جزاء ما قدما ومكن لكل
العالمين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .



مراجع البحث :

- تاريخ الأستاذ الامام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .
- اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار : أنور الجندى .
- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا : أنور الجندى .
- المنار والأزهر : محمد رشيد رضا .
- الشيخ طاهر الجزائري : الدكتور عدنان الخطيب .
- مدرسة الأستاذ الامام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصى .
- القاضى الرئيس قاسم بن مهزح : مبارك الخاطر .
- وجهة الاسلام : هاملتون جب وآخرون .

الفصل الثانى

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشيد رضا فى (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها أثرها فى تكوينه الثقافى والاجتماعى وفى منهج المنار ، فى أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فأشار الى الدور الذى قامت به فى توجيه رأى العام الاسلامى ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى فى مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التى أطلق عليها « حركة الإصلاح الاسلامى » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت انعمول وكان الغرض من انشائها : اثاره العالم الاسلامى وجبع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربى وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى فى ظل حريتها ما يجب من الإصلاح الدينى والدنيوى وكان من رأى السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوسائل لتجديد الأمة بالعلم الصحيح والعمل المفيد فى ضل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون فى المعالجة المطلوبة وكان الأستاذ الامام أول من ناط أملة به فى الإصلاح المطلوب كله وكان يصرح به فى مجالسسه لمن يراهم أهلا لفهمه واستعداد لطلبه وهو الذى أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، اذ الوصية لا تكون الا كلاما مجملا ، لما أنشئ « المنار » لبيان مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفقهه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى فى كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فمئشؤه قد نشأ وشب وشاب على الزهد فى الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب الى التقصير فى الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) فى أوله ، وبهذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الإصلاح والتجديد الاسلامى علما وبحنا ودعوة وحجة ودفاعا .

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواض المسلمين غير الجغرافيين في العالم الاسلامي كله في اصلاحهم كما قال الأستاذ المراغي شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سأله أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشئ المنار فى دنياه له وللناس وهي علمية خالصة ، أما مضرة هذا الزهد له فهي مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فأنى لم أستطع أن أعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيههم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتي .

(٢)

وفى موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها فى المنار فقال :

أنشأ (الأنفانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين فى المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى فى الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث فى العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى قبسامن نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشؤون الاسلامية العامة فى الجرائد الا ما يجيء فى عرض القول ، حتى أنشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الربانية فى تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقيين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاحياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، وأضأنا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالنسألة المصرية والتحريرى على الانجليز فهذا أمر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالطها فى وجهيها السياسية المصرية . ونقول أيضا : أنه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المتيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار أنه لم توجد قبله جريدة فى موضوعه وقال صاحب الأهرام أن فى طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منشىء هذه المجلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأستانة ، ثمرات الفنون ، جريدة انحاضر التونسية ، وفى هذين الأسبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عسبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على أن الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) أما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلمية والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصوصة وتقوم الأصول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سبب النهضة التى

تجمع الأسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار فى مناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله فى المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب القلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعته ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها ، فالناظر فى أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم وأن يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجسر الأثقال والهندسة وغيرها ومن تأمل فى آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب القلب وطلب كل وسيلة إلى ما يسهل لها سبيلها والسعى إليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ أن الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباق والرمية انكشف له مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتمرن عليها . ولكن مع كل ذلك تأخذ الدهشة من أحوال المسلمين المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات إذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون فى طلب لوازمها وليست لهم عناية فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات حتى فاقتهم الأمم سواهم فما كان أول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

البَابُ الثَّانِي

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

- مدخل : عرض عام لخطة المنار واهدافها .
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .
- الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية .
- الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشيد .

مدخل

عرض عام لخطة المنار واهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ... ١٨٩٨ م واستمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، أصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الأولى انها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران » .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذي يتمثل في العناصر الآتية :

- الإصلاح الدينى والاجتماعى لامتنا الاسلامية .
- اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر فى كل قطر وكل عصر .
- ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعزى من الخرافات اليه .

— الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى البدء طبع ألف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجاً فى أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنار ١٩٠٢/١٣٢٠ م بدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدأ على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع فى شكله المجلد (الحجم ٧٠ فى مائة المعروف الآن) فى السنة الثانية وأعيد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذى استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ١/٣ الألف الا قليلا ، وما كان انتقاص عملى منتقاصا شيئا من آمالى ولا زهد آلامه فى المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاسبا أن الناس سيعودون اليه ، وقد عاد الناس فعلا وبدعوا يطلبون مجموعات السنين الماضية .

قال السيد رشيد رضا في افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعة للساعين في مداواة العلل ، الذين أرشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر في الآيات الكونية . فتكون الجريدة وصل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ، وتحى ميت العبرة في نفوس أحادهم . ان غرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط في مجارة الأمم المتقدمة في الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة والتي أفسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التي ألبست الغي بالرشاد والتأويلات الباطلة التي شسبهت الحق بالباطل حتى صار انجبر توحيدا وأنظار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المقيدة توكلًا ، ومعرفة الحقائق كنرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الاذهان بالخطابات الصاعدة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواجر منبهة وبيانات في الاصلاح مجملة ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم وتندهرهم الخطر المهدد لهم في اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما اضاعوا من مجد آبائهم الأولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذي ولد في بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذي تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبنوثة في الشام من أمثال الشيخ حسين الجبر ، هذه المدرسة التي تعرفت الى جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والى كتاباتهما في مجلة العروة الوثقى التي كانا يصدرانها في باريس في مطالع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسيد جمال الدين الأفغانى خلال اقامته في استانبول ، فلما سبق القدر بوفاته اتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده في نفس العام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م في القاهرة ولم يلبث أن عرض وجهة نظره في اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام فأصدرها متوجهة في العام الثاني في شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م ،

وبذلك ارتبطت الدعوة الإسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، والقاسمي ، والرافعي ، و (الزهراوى) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائرى .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خصبة عامرة بالعمل الإسلامى ، عن طريق الصحافة الإسلامية ونشأت في خلال هذه المرحلة المجالات الإسلامية التى سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الإسلامية

وكانت المنار رائدة حقاً في رسم الطريق الصحيح للصحافة الإسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

أولاً : دراسة العقيدة الإسلامية : في مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانياً : دراسة أحوال المسلمين في العالم الإسلامى كله وخاصة البلاد الإسلامية في معركتها المواجهة للاستعمار .

ثالثاً : ظهور حزب الإصلاح الإسلامى الذى قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للإسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الأصلية .

رابعاً : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الإسلامية في مصر وتونس والعالم الإسلامى .

خامساً : دراسة المجتمع الإسلامى وأحوال المرأة وإصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعى جملة .

سادساً : التربية الإسلامية وإصلاح التعليم والجامع الأزهر وشئونونه

سابعاً : مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الإسلام .

ثامناً : المؤلفات الإسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الإسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التى كان للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير في أحيائه .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الاسلامية من المجلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسالة المنار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كافية لعروج الأمم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لأنها أبطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان أمة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسلمين حتى ان ذلك ليفيض من أنابيب أقلامهم فيما يكتبون] م ١ /

ويقول : انشأنا المنار من أجل الإصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وإبطال ما يورد من الشبهات عليه وتقنيده ما يعزى من الخرافات اليه .

ويقول : « اننى لم انشئ المنار ابتغاء ثروة أتأملها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وتأمم الأمة كلها بتركه فلم أكن أبالى بشئ الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسيان رضى الناس أم سخطوا ، قبلوا المنار أم رفضوا » .

الفصل الاول

من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م)

تمثل المنار في هذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بمنهج الأستاذ الامام وتحركاته وصدقاته ووجهة نظره في مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنية والقصر والنفوذ الانجليزى وخطته في العمل في سبيل انشاء حزب الاصلاح الاسلامى ، وقد اشار السيد رشيد رضا الى اهداف المنار في العدد الأول على هذا النحو :

- ١ - الحث على تربية البنات والبنين .
 - ٢ - الرغبة في تحصيل العلوم والفنون .
 - ٣ - التنشيط في مجارة الأمم المتمدنة في العلوم النافعة .
 - ٤ - طروق أبواب الكسب والاقتصاد .
 - ٥ - شرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة والأخلاق الرديئة أنتى أفسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التي ليست ألفى بالرشد والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل .
- وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جديد » ، وقد اعترف صاحب هذا الراى بأنه جاء ببيان الامراض الاجتماعية التي طرات على الامة الاسلامية والشرق كله والبحث في أسبابها وعلاجها ، والأخطار التي تتهدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين القويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتأليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنات وطبع المؤلفات النافعة وانشاء المنتديات العلمية ، كما اشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط في الزهادة وترك العمل للدنيا ، وان شدة زهادتهم في الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين في الدنيا والآخرة .
- وكان سببا في ترايد النزعات الوثنية في المسلمين بسببهم (م ١ - ١٨٩٨) .

المجلد الثانى (١٣١٦ - ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الاهداف التى رسمها فى العام الاول .

وكان أبرز أحداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأييد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اشار صاحب المنار الى اهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ - تبين البدع التى مزجت العقائد والمناسد التى عرضت للسجاياء والعوائد .

٢ - وتهدى لعلاج هذه الأمراض الروحية والادواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ - وتختار من الآثار العلمية والأدبية والنبوءات الفكاكية ما ترتاح له النفوس وتنجلي على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ - أما جوانب الأخبار وحوادث الأقطار والأمصار فنذكر منها أهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والأمة انما تكون بتبين الرشيد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والترتيب من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ - ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وإيمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها باب واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، وتحدثت عن التربية وعلم الأخلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبده على اتهامات هانوتو .

وفي هذا العام جرى العفو عن محمود سامي البارودي ، وتوفي عثمان باشا الغازي وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .
وقد وضعت المنار على صدرها رمزا ميمثلا في الحديث الشريف :
« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفي مجال الاصلاح الاسلامي تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمد عبده ومطالبه بوضع تقرير يشخص من امراض الامة الاسلامية كلها ويصف ذواءه ، وقد وعد الأستاذ بتأليف كتاب خاص في هذا الغرض يسميه « الاسلام والمسلمون » ونم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذي يقرأه في الازهر يبين فيه امراض الامم الروحية والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن ابرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذي كان يقرأه في الرواق العباسي بالازهر مع مقدمة تمهيدية له .
وقد كان من ابرز أبحاثها في هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : إعادة مجد الاسلام : تساعلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م)

في العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذي رسمته منذ اعدادها الاولى وكان الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذا العام بارز الاثر في حركة الاصلاح الاسلامي ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون ان يكشف خصومته لها أو ولائه للاتحاديين الذين كان لهم في القاهرة تجمع يرأسه السيد رفيق العظم ، ومضى في مهادنته للنورد كرومر وفي نشر دروس التفسير التي يلقيها الامام في الرواق العباسي ، وفي متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليد ومهاجمتها وفي العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العامية الى عرضة القاضي ويلموه والذي شغل الصحافة طويلا .

وفى هذا العام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث
تكشفت بعض الوثائق عن انجعية الصهيونية فى أوربا ومسايعها فى اعادة
السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف ان هذه الجمعية بدأت منذ
عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت فى هذا العام فصول الكواكبى
التي هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتي لم تلبث أن توقفت عندما أجرى
الخديوى الصلح مع السلطان فى سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفى هذا العام
أيضا توالى مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد فريد وجدى فى الرد على
قاسم أمين ووقف المنار فى صف قاسم أمين وأنشأ الزهراوى كتابه عن الفقه
والتصوف ، وفى هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضافية
عن الاسلام فى انجلترا ، وكان قد كتبها فى انجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا فى ختام العام : قبله المنار الاصلاح الدينى
واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والأئمة المجتهدين
وهو خصم ألد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى التصقت
بالدين وفى يقينه أن الشرق لا يصلح الا بصلاح المسلمين وان المسلمين
لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غير زيادة
أو نقصان ومجاعة الأمم الحية فى دنياهم وأخذهم بجميع فنونها وعلومها
وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « فريضة الدعوة الى الحق والأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر » وأن يوفق أمراءنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البلاد
وعلمائنا للهدى والرشاد وأغنياءنا للبذل والامداد وأن يوفق الوالدين لتربية
الأولاد وتنفع فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م)

واصلت المنار رسالتها فى عزم وقوة فوالى كتاباتها عن قضية
المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى
وعرضت لأمراء المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية
وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحدث عن بديل له
تقدمه الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصلاح
التعليم فى الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق
والشفاعة والقطب والكرامات ، وهاجمت الفلسفة الالهية والمفاهيم

العقلية المنحرفة التى جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الجامعة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان فى باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت فى فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب فى دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة فى بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لاطهار ضعفها للنبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وإبطال امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى أن تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الفاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدينة أوربا الى أوربا ونشر مدنيتهم والقضاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزى والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واطهار ضعفها . والخواص يعلمون أن الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامى لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا لمحمد على بمحاربتهم هم الأوروبيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع فى بلاد الشام والحجاز أن الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسبب بعض المصنفات التى لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الأعلام مقالات فى أول العام الهجرى ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار فى هذا العام فى مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسى رينان ، مع هانوتو .

وفى هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبى ومحمد على

الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م)

وفى العام السادس كانت أبرز الأحداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوروبا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلها كما توغلت الأبحاث فى كشف حلقات التغريب والغزو الثقافى فى ميادين ثلاثة :

أولا : دراسات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقلا عن كتاب الأنابيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلازلها فى أوروبا .

ثانيا : بحوث فى نقد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كما بدأ رشيد رضا فى التنبه الى ما فى روايات جرجى زيدان من أخطار ونقد روايتى فتاة غسان وفتح الأندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضا فى افتتاحية العام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسبات الى طور الحيرة والشتات . والحيرة والشتات خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطر انما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين والاستماتة فى الخضوع لهم وتقديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التى تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا أن أوقعوها فى هذا الضعف والهوان والفقر والخرلان والجهل بأمر الدنيا والدين . وواجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استبدادهم والزامهم المشاورة فى الأمر وتقيد السلطة فى الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشئ المنار لمساعدة العقلاء على السعى فى تكوين الأمة عن طريق التربية المالية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

في ذلك قولاً وعملاً . لهذا كان الإصلاح الدينى شرطاً في الإصلاح المدنى أو شرطاً منه في وضع الاسلام ، ومن مقدمات الإصلاح احياء اللغة اذ لا امة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأقلون ويمجه الكثيرون ، اولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العالم الاسلامى واتسع بريده في عرض قضايا المسلمين في أجزاء كثيرة من العالم فضلاً عن أخبار بلاد العرب وتجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

والت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت أبحاثاً مطولة عن البابية في فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الأنهام في مصادر الاسلام) وتحدثت عن الإصلاح في فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنسا والأزهر حيث نقلت مقالا كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانية كما ركزت على الإصلاح الاسلامى وخاصة في مصر وفي شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضاء الشرعى . ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصوفية ، ومفاهيم أهل البكلام في نفس الوقت في محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحاً .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، وعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لاتقراره على امارة نجد الموروثة له والا تقبل الدولة العلية في بلاد العرب ما يزعزع ثقتهم فيها وإذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضع اهتمام المنار بانتصار ابن سعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتاوى ، فقدمت الردود التى كتبها الشيخ محمد عبده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الترنسغالية في حل ذبيحة النصارى

في تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الامرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعى خلف الحنفى ، وعرض لتراجم المتوفين في هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة أمثال قضية على يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراکش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الأمراء الحاكمين الذين استبدوا في الأمة وأذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا وأعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعدد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية أيضا . وتحدثت المنار عن نمو الجمعية الخيرية حيث بلغت ايراداتها ١٣٣١ جنيها بالإضافة الى ١٢٢٣ جنيها من ريع الأطنان (٢٨٠ فدانا) وانفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيها .

وفي فاتحة المنار أشار السيد رشيد رضا أنه أنشئ لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار في جميع الأقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار أنه لا ينبغى أن يوثق بكلام أحد في أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعياله أن لا يعتمد في نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجبر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته في تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة أمثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض في علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامى ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحى في مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان في فصول تحت عنوان (الدين في نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شاهدا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وأشار الى كتاب الخراج للإمام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال قبل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الإصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف أن النفوذيين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الإصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوقى . وقد أشار المنار الى :

١ — التفسير والأستاذ الامام .

٢ — الامام والثورة العربية .

٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .

٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف ورد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن أعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عيش ، وغيرهم ممن أسماهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار فى هذا الجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفي افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :

انه ما وقع تغيير الابدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح في كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبى حنيفة حتى مات في السجن وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام الشافعى الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطئوا الامام أحمد بالنعال وما زالوا من تلك انعمصور يفتنون أهل العلم والتقوى حتى تم لهم بطول الزمان افساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ولا يأتى باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عرة العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جرائم التقليد واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهدهم ذلك الى كل اصلاح صورى ومعنوى .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء والحاكمين والانخداع لأنصارهم وأشيعاهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام وأصحاب أوهام .

ادعواكم الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن في القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية ترد شبهاات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان حتى اذا أنشئ المنار نقم منه المتجرون بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المبغضون لأنه يقول ان الوهابية السلفية والاشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وأنه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من أعظم قواتهم المعنوية .
ان الاعتقاد في الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : أمضى سنوات هذه المجلة
مناظرا على الخدمة المالية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين
غير هياب ويعتمد في أبحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة
والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على أذواق الذين يخلطون الدين بغيره
ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثانى

المنار : الى الحرب العالمية الأولى

بعد وفاة الأستاذ الامام مضى المنار فى طريقه حاملا لواء رسالة الإصلاح كما بدأها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، وقد صمد السيد رشيد فى هذا المجال صمودا قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهة أحداث العالم الإسلامى وقضاياها والكشف عن سموم التبشير والتغريب والغزو الثقافى على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه فى بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداة الاتحاديين للإسلام فهاجمهم هجوما عنيفا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جلاوة الى المغرب فى قوة واتصال .

المجلد التاسع (١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م)

توسع اهتمام المنار بتصحيح العقيدة وبيان مذهب أهل السنة والجماعة بمراجعات واسعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمة الطرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقلدين والمصلحين فى تصحيح العقيدة ومناقشة الشيخ محمد بخيت عن نظرياته فى الفونغراف والسكورتاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والأمل المعقود عليه .

ويواصل رسالته فى التربية الإسلامية والعناية باللغة العربية ومهاجمة الفكر الوافد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق الباطية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمة ناقدا اياها . ويتحدث عن الإسلام فى العالم وانتشاره فى اليابان والصين وموقف الغرب من العالم الإسلامى ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت من النبى صلى الله عليه وسلم وينقد ما جاء فى هذا الكتاب ويعنى باتباع حزب الإصلاح فيهتم بتولى سعد زغلول وزيراً للمعارضة

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين فى المدارس ، والمعروف أن ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى فى القاهرة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، أحمد خان الهندى .

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن أحوال المسلمين فقال :

ان المسلمين أمسوا كإريش فى مهب الحوادث وكالغشاء فى مجرى سيول الكوارث لا رأى لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب فى تصرف حكائنا فى سياستنا ويد فى تصرف أموالنا فى مصالحتهم دون مصلحتنا ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافى آداب ملتنا وتوقع فى العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شئ بقى فى أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل فى هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دولة من موتها الا بصيحة نفر من أولى الابواب وتستغنى العقول والآداب الذين يغير الله ما فى نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة فى ذلقة السنتهم ونفثات أقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : « سنة الله التى قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون » وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الإصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكتير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون فى سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين فى هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، ويأخذ الأمم والدول اياهم أخذا وببلا (وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .

نعم : ان المؤمن يبتهل ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر
حتى تكون العاقبة للمتقين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادتكم في ارادة حكامهم ،
ولا يتغير ما في انفسكم من اوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية
انه لا حياة لكم بالرابطة المالية لأنها ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية
الذين سادوا بترك العصبية الدينية . انهم لا بغون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى : اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وأخذنا الأجانب
من ناحية سلطتهم أخذا وبسلا فما اغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا .
لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته في خليفته ، عليكم أن تجيبوا
داعى الله وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله
ومواساة عياله واتقى أسباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منها
وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع
الأصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى أساس العقائد
أمام بناء الآداب والأحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفسدات ، وأرشد
الى ما لشئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ،
وأثبت أن الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر
عليها الانام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح
النفوس بالأخلاق المرضية .

أما حزب الشيطان وأنصار الظلم والعدوان فسيقولون ان هذه
الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهاد أقفل بابه فى هذا الزمان والداعى انيها
عدو مبين لأهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع
الاسلام على عواتق أهل السلطة المستغلين على الأحكام ومنهم من يحيل
على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وأنكروا
التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة مليّة
ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم .
واذا لم يعتنقوا خطوات أوربا فلا مدنية لهم . ولم نر دعوة انكرها الرؤساء

الرسميون والأمراء المستبدون إلا دعوة هذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا الأهل والانصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الإصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السري للاحتلال الذي ألفه بلنت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل والنواء ، والخلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغة العربية ونادى دار العلوم حيث ظهرت دعوة العامة وقاومها الدرعميون وألقيت أبحاث هامة لأحمد السكندري ، والشيخ محمد الخضري وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فأنهت حصاتي ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هذا العام أنجيل برنابا الذي طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضا وتحدث عن قضايا أهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منها الربا وودائع البنوك ، وقد توسع فيها ، والإصلاح الاجتماعي والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغاء في مصر ألفه الدكتور بورفالييس باللغة الفرنسية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا في الجانب السياسي ، أما في جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى في طريقه الى تأصيلها وإلى الدعوة لمذهب أهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الإمام الغزالي ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الإصلاح الديني وإصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينية في مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى لمصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسلام منها شهادة مسيو وامبرى ، وقد احتفل في هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات في نصرة الحق .

وقد افتتح المجلد العاشر بافتتاحية أشار فيها الى عمل المنار وخطته :

١ — تربية البنات والبنين .

٢ — اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ — شرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخضوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانا .

٤ — درء الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم أنها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ — اقناع ارباب النحل المتباينة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

أيها الشرقي المستغرق في منامة قد تجاوزت حد الراحة فغثبه من سباتك وانظر الى العالم الجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى أخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة فقرر بين الماء والنار وأوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور واخترق الجبال واختبر أعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان في جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلان للنسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ — خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ — مدحه لكرומר وللطفى السيد وسعد زغلول باعتبارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ — متابعة رشيد رضا لنقد الأناجيل ونشر نيباب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ — أولى اهتماما كبيرا لموقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هي خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التي يراد ادخالها في اللغة العربية ، هل تعرب تعريفا أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضري (الذي طالب بانشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندري .

٥ — الانتقاد على فريد وجدي في كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع في ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة في التمثيل .

ترجم صاحب المنار في هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادي عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

في هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتألق بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من الموصفات الخاصة التي كانت تحد من صراحته وجراته واعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مدخورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت في السنوات الماضية ولكنها عرضت في تحفظ شديد ، وأهم ما في ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذي حرره بعيدا عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التي عرفها الأئمة الغزالي وابن تيمية وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفي مقدمتهم كاتيناي وجرجي زيدان الذي واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته في مختلف كتبه عن التمدن الاسلامي والأدب العربي .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيم المادية .

الثالثة : عرض أعمال حركة الاتحاديين في الدولة العثمانية وآماله في الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصمود الدستور العثماني ،

الرابعة : الرد على كرومر في كتابه الذي نشره بعبد سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد حاول الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده في مصر اذ ذاك ممثلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة أبحاثه في كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول أخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .

السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمها فتحى زغلول وحفى ناصف في مواجهة الحملة المركزة التى قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول في أبحاث أخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه في مؤتمر أفريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والقرآن والعلم ، ومبادئ الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى لآليات العلمية في القرآن (الرياح والجبال والثمار والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لتجليل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفي هذا العام تحدث عن المسلمون والقطب بمناسبة مؤتمر الأقطاب ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التى يرددها الأفرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة في القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامرى والعجل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، وأموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الإصلاح في مهاجمته السياسة للحزب الوطنى ، وللاتحاديين في تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاللة والمقلدون والانطلاق تحت لواء السنية والتزليل على حد تعبير رشيد رضا ؛

« لا خوف على الحق الا مع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الإصلاح في هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب أو مظاهر (١) التقليد : وعليه أكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التي تشمل المارقين من المتفرجين ، ويقول : ان المتفرجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تفرنكم عوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الأمم الأوربية وان الفساد قد طرا على جسم هذه الأمة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن المبشرات ان نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعبثت به الأهواء . الى ان ينهض زعيم من الأمة يدعو المنار الى اقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة اهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بينة فيما يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحري الحق والارشاد في كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل أنفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفي الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى في هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأكثرتها في المنار بالبرهان البين وأكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب أن في مصر من يسمى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفي خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعوها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وفتقاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثاني المتبعون للدليل .
ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثنى الذى يعترف المنتقد
بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التى عبدت
كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عدت
وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات ففسد الدين هذا الباب
سدا محكما .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين
التونسى ، فتحى زغلول ، حفى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م)

فى هذا العام يقع أعظم حدث فى تاريخ المنطقة وهو استقاط السلطان
عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمر ويظهر فرحته الشديدة ،
ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية فى السنوات الماضية حينما كان يتحدث
عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد،
وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا
من اقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى
بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا فى عهد الاتحاديين الذين خدعوا
صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم فى أول الأمر ، ولذلك فقد سارع
السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الاسلامية
والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب
والترك وانشاء مدرسة الارشاد الاسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين
ليشرون فى البلاد الاسلامية وقد جامله الاتحاديون دون أن يحققوا به أى
هدف ولم يكشفوا عن أوراقتهم ولا أهدافهم التى تكشفها الأيام من بعد .

وفى هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب
والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات
العثمانية واستقلالها والانقلاب العثمانى وصداه فى الصحف الهندية وغيرها،
وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة
المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون والنفخ
العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمتنع هذا من استمرار المنار في أبوابها العامة وموضوعاتها التي سبق أن طرقتها وواصلت دراستها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الأفرنج وعن أوروبا والاسلام وعن الدعوة الى الإصلاح الاسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الاسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الاسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الاسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للإمام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والنشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية دارون وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجبر بهناسة وفاته ، والاستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شميل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الاسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطينية فصولا اضافية أشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة الدين الاسلامى وتجميع المسلمين ، وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامى ومن منافع المعهد الاسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعاً للاسلام وكعبة مغنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقدرّون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للأمة . ليس الغرض أن تكون الحكومة العثمانية هى التى تنشئ المعهد الاسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الإصلاح العلماء الصالحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة وأشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلهم أظهروا الإعجاب به والاعتراف بفوائده .

أما الأمر الآخر « فهو ازالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين : العرب والترك . وقد شرحت هذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقتصاد فصادف استحسانا والمشهور عندنا عن سياسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هذا الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء .

« أن جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معى على وجوب تدارك ما قوى الآن من سوء التفاهم ولما جئنا الأستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض سياسة الترك بالعرب ما أشرنا اليه ولاسيما مساله الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لى أكثر من واحد من أذكائهم ، وأهل الرأى منهم بمصر والأستانة أن وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرّون مشروعات الإصلاحين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لأنك عربى » .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسين الجبر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشير .

م ١٢ (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الإصلاحية فى مجالانها المختلفة فأولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوطن الإسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الاتحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شديد غير أنه لم يلبث أن غير رأيه بعد أن اكتشف حقيقة موقفهم من الإسلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية أساسية (باعتباره سوريا فى الأصل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الإسلامية كنها لوجود دولة الخلافة بها ولارتباط البلاد العربية معها كما عرض لموقف أنكثرا من الإسلام .

وتابع انتشار الإسلام فى أفريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الإسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدى

السودان ومسلمو جاوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لقضية
الاصلاح الاسلامى ، وتحدث عن الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية
والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل
بالتربية الاسلامية والازهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية
وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم
المهاجمة للإسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول
الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل
بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتناول
ما يتصل بتجريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جميل الزهاوى فى حملته على الشريعة
الاسلامية ودعوته الى سفور المرأة كما تناول صلته بشبلى شميل .
كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوءة
زرادشت .

ومن ناحية أخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى
محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل
ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية .
وعرض لأحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبعاء
وتحدث عن المتفرنجون والنساء النواشز .
كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث الجديدة والمؤلفات
الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب :
الاسلام ومسترسكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعه ومبادئ
الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن
تيمية وابن حجر الهيئى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعاون على البر
والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعاليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الإسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجالد أعداء الإصلاح بسيف ولا أسنان وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ولكننا لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازع التفرنج الحديث والجمود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله ان الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون أراثا ومالهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصراري وأنتم متخلفون ، وها أنتم هؤلاء تستيقظون فان سرتهم الهونيا فالناس مجسدون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم في عصركم ، وتذبروا القرآن وما فيه من سنن الله في نوع الانسان وفقدان الأقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية ، تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي يجول في رفاقها (انبسنور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفي هذا المجلد دعوات واضحة :

١ — الى مسألة العناية باللغة العربية في البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربي وقدم بحثا لجبر ضومط في هذا الصدد وبحث في أطوار اللغة العربية للخضر حسيين وقد وضع الاهتمام باللغة العربية في هذا العام .

٢ — السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القاصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تفتيح اللغة التركية وحذف الألفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستمراره في نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم أعوانه في الطعن على العرب ، وقد دفع الحماسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريده اقدام وإهانة صاحبها وتحقيره .

٣ — بالنسبة لمشروع دار العلم والأرشاد ، حدث ما أياسنى من مساعدة الحكومة العثمانية بعد وعدّها القطعى او كاد .

٤ — تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احياء الآداب العربية ، كما تناول الرد على تسبلى شميل والمقتطف في شأن الإلحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه في كتابه مقدمة السبرمان التى تتلخص في نظريه نيتشه في محو الضعفاء وتنمية قوة الأقوياء ، وقد اشار سلامه موسى الى آراء نيتشه وبليك وشوينهور من أصحاب الفلسفة الشاذة : وقال : المتفريجون منا يرون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين أنفسهم من أمتهن منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المفلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تميز الفث من السمين .

٥ — كشف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر . وارغامهم على احكام الزواج والطلاق المسيحية ، وأشار الى عمل الاستعمار في ايقاظ الفتن وتفرير العرب وأغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والنفخ في روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه في الهجوم على الاسلام وأخطائه وسخافاتة في التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما قدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عما قريب ستكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا وأوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث في المنار بالنسبة لقضايا الإصلاح الاسلامى وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير انه في هذا العام ظهرت كتابات لاسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاویش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستانى .

وكان ابرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى . (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول ايطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير في السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضايا الاسلامية وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار وأثره في العالم الاسلامى وموقف البلاد الاسلامية أمثال جاوه وجناية هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وايران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا في التركمان وبخارى ومسلمو بلادها . كما أولى اهتمامه بالإصلاح الدينى والاجتماعى فتحدث عن التقليد للأفرنج والتفرنج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر في الأبحاث ، فقد كشفت حقائق كثيرة عن صاتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم في أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعة .

وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقتنى لتأييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدلىلى النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل وأضرع اليك أن توفقتنى على رأس العام الرابع عشر في السعى انيه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين في الآخرين كما أظهرته في الاولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ في غربته فأتى اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعائه الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته في المتفرئين قبلهم : « يخربون بيوتهم بأيديهم » و « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رعوس الفتن واشتعلت نارها في البانيا فخوران فاليمين ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفسدين والمجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهل القرآن : اقيموا القرآن واقموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حقم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاستقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم ، يريدون اطفاء نوره والاطاحة بوليه ونصيره .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيارات التى تهب من حوله غيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به في هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الاسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيار الجهود والتقليد والجبرية الصوفية ، وكذلك تيار التبعية والتفرنج والتغريب والغزو الثقافى في صورته المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات الحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ في سوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متشبث بالدعوة غير طامع في جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شئ في سبيل اثبات هذا الصوت الاسلامى واستمراره في عناد واصرار .

وفي هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسمى لتطليك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصل بالمشروع الأصفر (أى تمكين اليهود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان في هذا العدد تنويه واسع بخطط الماسونية في البلاد العثمانية بعهد أن تكشف دورها في مؤازرة الاتحاديين

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل تضيية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفصح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الأولى للانقلاب العثمانى والملىء بالحقن على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تترك العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم أن يدخل فيها ويتحالف مع أهلها وكيف أن ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيما يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة أمته ، ويقول : لا ينبغي أن تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لانه ربما كان مقصدا محرما ، ولانه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على أنه ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازائه وجب عليه أن يتركها ويتبرا منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شقيب أرسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد أبحاثه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع أن يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى أجزاء مختلفة فى العالم الاسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس أدل على ذلك من أنه يتابع أخبار المسلمين من المغرب الأقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الأحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يرسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يففل عن أي تطور سياسى أو اجتماعى فى هذه الاقطار على مستوى العالم الاسلامى كله ، هذا فضلا عن أنه يقدم أبواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما مستفيض ، لا يمل تكرير المعانى العامة لمفاهيم الدعوة الاسلامية فى كل

مناسبة ، كما يقدم أهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، وأهم الوفیات وأهم الأحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الإسلام ، ونجده في هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى فى عالم الإسلام ، وقد أخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت فى هذا الصدد وهو كتاب (الفارة على العالم الإسلامى) أو فتح العالم الإسلامى نقلا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الإسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالإسلام وأخذ فى مراجعة تراث أهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى افريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الإسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب ايران والخليج الفارسى والجامعتان الإسلامية والعثمانية ودعوة أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعاً : تناول قضايا البهائية ، والفحش والفجور فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كامل والجامعة الإسلامية وطريقة السنوسية وزواياها المبتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق فيامبرى الذى خدع

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنار الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض أغلب الكتب الصادرة والتي تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى — الحراب فى صدر البهاء والباب — رباعيات الخيام — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

• ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى انعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الاول من المجلد الخامس عشر بامتحاحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده فدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا أعانه وزير ولا أمده غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تغمده الله برحمته (اشتراك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى أخذ بأيدى الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المساميين فهو صاحب الفضل الاول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن فالؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطل المشترخين وخاصة من رجال الطبقة العالمية كالمدرسين والمؤلفين والقضاة . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمنها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد إهله نموا فى الأرض .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفریطهم في بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقي وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمي روسيا من السلطان عبد الحميد وتفریط الاتحاديين في حقوق الدولة في خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمي) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجمع بين درهم والمأمون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الأديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتب أهل الكتاب والبارتليظ المذكور في الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : أحاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، وأحمد حشمت ، وأديبي عسر ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستونس جبارة ، وابن الرشيد ، وأحاديث عن الشيخ عبد العزيز جابوش وإصداره المجلة العربية في الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامي مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركي الانجليزي على خليج شط العرب وفارس وأثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الأحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف في مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولي في باريس وسياسة الأمة العربية في حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتترك مسلمي العثمانيين .

سابعا : أحاديث عن الكتب وفي مقدمتها كتاب فتحي زغلول : سر تقدم الانجليز والاحتفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، ادريسى عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمي ، فتحى زغلول ، محمود شوكت .

وفى فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الاصلاح الدينى قد علا كل صوت فى الاقطار الاسلامية التى بلغت دعوته وهزتها صيحته ، فخفتت دونه أصوات الحشوية الجامدين والدجاجة المحترفين وقد خذل الله بيروت فى العام الماضى أشدهم افكا وتحريفا .

وتحدث عن الاسلام التقليدى ، والاسلام البرهائى فقال : أصحاب الاسلام التقليدى يفتنون بالشبهات المادية التى يبتها فيهم حملة غشور العلوم العصرية ومنهم من يشككون فى الاسلام بمطاعن دعاة النصرانية ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العلوم الطبيعية باطلة وأن تعليمها كفر وتعليمها زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون أن الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذى كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الاسلامية فى الظاهر والاتحادية فى الباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الأعمال التى تحييه وتطعن فى القائمين بها وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتراحم أهلها المصطحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضها وأصولها خمسة : (الدينى - العلمى - الاجتماعى - السياسى - المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها فى العالم الاسلامى ولا يسهل اقامة بعضها الا باقامة باقيةها . وأشار الى أنه ما أن لاحت من الاستئانة بارقة الأمل فى الاصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشئ فيها عملا كبيرا من الاصلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولاسيما الاصلاح الاجتماعى . ثم أصبح سرايا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الاصلاح فكان بسوء تصرف ذويه عن الافساد وقد أنذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو أفسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فتدت
المملكة طرابلس الغرب الأفريقية وثنت بولايات الدولة الأوربية ونخشى
أن تقلت الولايات الآسيوية » .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ - ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفى مقدمتها :

١ - قضية الدولة العثمانية والاتحاديين وموقفهم من الغرب
وتناول قضية الجنسيات فى المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبية وكيف
دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ - قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السياسى (بقلم
أوسشكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ،
وخصوص التوراة فى كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ - الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث
فى مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقام عيسى عليه
السلام فى النصرانية والاسلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب
كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية)
وتحريف التوراة .

٤ - رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاء الصوفية ،
وتقديم فصول من كتاب مدارج السائلين لابن القيم الجوزية عن التصوف
الاسلامى الصحيح .

٥ - تركيز الدعوة الاسلامية وتصحيح العقائد ، وانرد على
الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاسلام الأبرار أحمد
ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالى والأشعرى
فى أبحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ - الحديث عن لورد كرومر ورايه فى الشيخ محمد عبده ، ولورد
هدلى واسلامه ، وترجمة أحمد فتحى زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم
لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ - نقد آراء منصور الاسلام والرد عليهم : رد على يوسف الخازن

٩ — تحدث عن الشريعة الاسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ،
وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الاسلامية ، كما تحدث عن المعارف
وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المرأة والتفرنج .

١٠ — قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتثقة منها كتاب
الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية
وانصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ — ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ،
على يوسف ، عبد العزيز جاویش ، فؤاد سليم المصرى ، مصطفى
المنفلوطى ، أحمد فتحى زغلول ، محمد جمال الدين القاسمى ،

وقد افتتح مجلد المنار الاول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة
جاء فيها :

نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به
فى السنة الخالية من سوء عاقبة الافراط والتفريط للذين رزئت بهما أمتهم
الجاهلة الغافلة ، والافراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهماك
فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيئ العادات والتفريط
فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة
ومجارات الأمم بما يستطيع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة
وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر
وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم
الأمم والأقوام وبيان سنن الله تعالى فى الطاعين والمسرفين . تركت هذه
الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم
والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق
وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاب من الزمان لا تشعر بكنه هذا
الخرسان ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور
بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطاتها وأملكها
قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شمرت بالخطر على
حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ،
شرعت فى شئ من الإصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الإصلاح المعنوى
فبعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندية والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا
بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية
فى سلك الدول الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين
الغربية الغربية ، ومحمد على وأحفاده مصلحين بفرجة البلاد المصرية ،
والامير عبد الرحمن خان مصلحا بالثاليف بين القبائل الافغانية ، ولم تتوجه
همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وازالة البدع والمنكرات وجمع
الكلمة التى فرقته المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الاصلاح الصورى
الاضروبيا من الفساد ولا أناد الدولة الا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد .
ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجاً لهذه الأمة من طبيب اجتماعى
عرف من أمراضها الظاهرى والباطنى فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة
ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزدد الا مرضا ،
وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب
الذى يدخل فى البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها ،
وحاجتها ، بل كان تقليدا صوريا أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا
ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية
التي قطعت كثيرا من روابط الأمة المليئة وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها
الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم
الأوربية بل صارت عيالا عليهم فى جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فتقد
كان نفعه موضعيا وعارضا لا دائما فكان عداوة بعض أغراض الظاهرة
بما يزيلها مع بقاء العلة فى الباطن ، وكلما داوت جرحا سفل جرح . بنى
محمد على ركضى الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ
ببناء ركضى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لتم لهم
تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم
والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع اقبال المسلمين كانوا
ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح
لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الرأى والعزم يأمررون بالصلاح وينهون
عن الفساد فى الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية
والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وإن أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب ان يوكل الى الجماعات
ولا يجوز ان يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معاملة لسبب العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين فأى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد أفسدنا المربون - الانرج المتفرنجون - وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعزى بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحاد واما أديار وكنائس قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والأهلية ، فالمتخرجون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم الملحدون ، وأكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الأمة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبي من كل جانب ويتقلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحقرن لها سلفها ويعظمون في نفسها كل ما هو أجنبي عليها فيقطعون جميع روابطها المالية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد . وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم أو الجيش السلمى لثكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ويزعمون أنهم المصلحون لسانها ، ولنذكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسية :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول اوربا كلها (الغارة على العالم الاسلامى) .

اننا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ مقوماتها ومشخصاتها . وأركانها اللغة والدين والشريعة والآداب (المراد بالشريعة أحكام المعاملات في السياسة والقضاء والإدارة والحرب) ولنا أن نستعين بأهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا أهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما أمرنا (الله) به من السير في الأرض والاعتبار بأحوال الأمم ونسبة سلفنا « أ . ه .

ولك أنت أيها القارئ اليوم بعد سبعين عاما أن تجد ما قاله السيد رشيد رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبقا على أجيال كثيرة رباها الاستعمار في عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمي وعلى عبد الرازق ثم الأجيال التالية من أتباع الماركسية والشعبوية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

في هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد اثرت في حجمه وفي انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان فائضاً فانه تحمل ذلك في قوة ومضى الى أداء رسالته في عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فعمد الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التي لم يكن قادراً على كشفها في وقتها وقد مضى يواجه الاتحاديين ومن بعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب في البلاد العربية وفي العالم الاسلامي وكان من أكبر ما أهّمه قضيتي : البهائية والقاديانية في هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٢ هـ - ١٩١٥ م)

يواصل السيد رشيد رضا نشاطه في دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي بابتعاث المفهوم الاسلامي الصحيح : مفهوم أهل السنة والجماعة ، وقد توسع في هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكاني : وتحقيقه مسألة القياس ، ودرس انظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسألة القياس والرأي وما أمتاز به على أستاذه ابن تيمية ، وقدم ابن حزم (مجدد القرن الخامس) في المحلى ، وابن حجر العسقلاني وخدمته للسنة ، كما قدم الفخر الرازي وضعفه في الحديث والفصاحة ، وقدم ترجمة أبو هريرة ، كما قدم ترجمة أبو الحسن : منذر بن سعيد البلوطي ، والشاطبي وما حرره في مسألة المصالح ودراسة الإمام الشافعي وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبي وقصة الإمام مالك ، ومذهبه في التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتهما ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامي وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصراني وقدم نقداً لها وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لاختلاف الفرق وتناول الجهمية وتعطيلها

للصفات ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحية أخرى تحدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبنسر وتجاوزهما ، كما تحدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلى نعمانى وعرض لآراء أحمد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسمى وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقى ، كما قدم أبحاثا عن القلقشندى والجرجانى والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والجروف العربية اهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجاء العربية والخط الكوفى وخط التعليق الديوانى . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغات وعن الهيلوغرافية العربية الأصل . كما تحدث عن المدينتان المصرية والبابلية وكيف أنهما عربيتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبى يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، أمثال المحلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى في كتابه الانشاس للقلقشندى والاحكام فى أصول الاحكام للآمدى والطراز فى اسرار البلاغة ليحيى بن حجي والخصائص لابن جنى والاعتصام للشاطبى .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وفرضى الآداب بمصر كما عرض فصولا عن رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء فى لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : شبلى نعمانى ، أحمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمى ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقى ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبنسر .



وقد تضمن المنار اشارات الى جعل مصر سلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمى الخديو الى أعداء بريطانيا منذ اول نشوب الحرب مع ألمانيا وعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفى افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير في الحضارة المدنية إذا أقيمت على قواعد الأثرة والقوة المادية ولا خير في العلوم ولا في العمران إذا كانا وسيلة لاستعباد الإنسان لأخيه الإنسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأنه بعبارة رعوف رحيم وأنه أرحم الراحمين

ان الافساد كل الافساد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستغلال الشعوب الضعيفة فى الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المفررون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، أتطالبون ربكم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة فى الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يرى نفسه ويتمه ربه .

اننا نحن سنمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة فى شىء من الأرض لا بحسب سنته فى خلقه ولا بمقتضى وعده فى كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي فتلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليلو عباده بالحسنات كما ييلوهم بالسيئات ليلوهم أيهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أملا » .

وفى كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يجب من الانتقاد الذى هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمساعدة فى الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامى الى الأصالة بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذى أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م)

في هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ، الذى تولى إمارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع ألمانيا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جمال باشا السفك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يففل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل واهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جمال الدين وحسين الجبر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيميه وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبر الاندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغاني وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابتى منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفها . كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجبر ، انور باشا ، على يوسف .

وكتب السيد رشيد رضا فصلاً مطولاً عن دور النار في حركة الإصلاح الإسلامي فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » وقال إن حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعتمدين وتذللهم للأمرء والحكامين وذمهم بعصبية الدين وإن لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يغترون بها وإن منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها وإن للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فإذا قذف عليه دفعه ، وإن بقاء الباطل لألى زوال (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر على كونهم أجراًهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين أفراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم الى الاتحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسوس وتوجيه العناية فيها الى نايبة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه وإن لهم لأنصاراً في القصور والدواوين وفي المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كانوا به أقدام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وانهم ليختلبون لباب المختلبين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية . ولهذا غدت وجب على أهل الإصلاح أخذ الأهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فإن أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(انا لننصرن رسلنا) و (ولينصرن الله من ينصره) .

إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الإسلام بالسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال إن لجمعية الاتحاد الجديدة ركناً في الأزهر ركينا وانهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثاً مبيناً ، ولكنهم لم يصيبوا منه الا خذلانا وفشلاً مهيناً .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو في مرض موته : ان طريقتك في تفسير القرآن قد اضررت الأمة أشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لأنها أبانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من أركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمة من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن فرخنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين توالد من أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم أهل الحق عما ينفثون من سموم أباطيلهم تعظم جراتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى قضاء الحرية .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعياً الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمسك بسنة رسوله الأمين والسير على نهج السلف الصالحين ناهياً عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة عليه

كالنقص منه خزي وضلال . ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال في الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين في جميع أمور الدنيا والدين ، وإشار إلى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهى كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله في التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها في جميع العلوم والأعمال وأن الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن أبرز أعمال هذا العام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، أحمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، أحمد ابراهيم ، أحمد السكندرى ، أحمد برادة ، أحمد تيمور ، أحمد زكى ، أحمد سليمان . أحمد على ، أحمد كمال ، اسماعيل رأفت ، حنفى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمد شريف سليم ، محمد عاطف بركات ، مصطفى العناني ، يعقوب صروف . وقد أنشأ المجمع عديدا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبات) ، ولجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيعمل على وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية أو الأعجمية التى لم تعرف من قبل ، غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها ، فاذا لم يهتد ، أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار في هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية في فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ — ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الأعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لأعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر أمثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين أمير مكة ، والأمير فيصل ، وجفنى ناصف .

ومن أبرز أحداث العام : ظهور البلاشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الإسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علانة الأشعرى بالمرتلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذمه ، وتحدث عن انتشار الإسلام فى مطالعه بسرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الإسلامى ، وأبوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وأبعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطانات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسفك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمسية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز عاهل على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمرؤهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب

والأرمن والأكراد التى سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء واكثروا فيها الفساد .

وقد رد السيد رشيد رضا مبادئ النار وهى :

١ — احياء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفية المفرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الأشعرى وابن تيمية وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب النار فى هذا المجلد لـ : حفى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الفنى الرفعى ، عبده ابراهيم ، الألبوسى .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفكر الإسلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنية مع الحملة الكاشفة عن إخطاء التفريبيين والذى يطلق عليهم اسم المتفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للإسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ ملة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الإمام أحمد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الإمام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبراعته من الألفاظ الأعجمية ، والحديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مسلم والترمذى ، وحديث عن الشيعة وجصر الإسلام فى الإمامة منهم ودسائس اليهود والمجوس ، وحديث عن مائتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحي الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضع الأصنام فى الكعبة ، وحديث عن المجوس وكيدهم للإسلام ، وكيد اليهود فالمجوس فالأفرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الإسلام ، وحديث عن أن الفينيقيون غريب

والكنعانيون عرب والأراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصوف ومكانته من الشريعة ، هذا بالإضافة الى أحاديثه عن الأزهر والإصلاح الإسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول وبيعهم البلاد العربية للأفرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ، واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالهم عليها وظهور الحياة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة وأبائه الاتفاق مع أمراء العرب واتفاقه مع انجلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : أحمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزائرى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .

وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

أُنذِرنا أكابر السياسة فى مثل هذه الفاتحة منذ عامين أن ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفى شره مستطر أو تعود ان العرب جذعة بهذه السياسة الخدعة الخباة الظلمة (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لامة واحدة ويا أيها الراسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الأعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأفراد من الاعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وانت ايتها الأمة الأمية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هذا التفرق والانقسام بعد فلك السعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغن من الجحور

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت في المرتين وسمعت النذر بالاذنين ورايت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورايت في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فيقوم انى لكم ناصح امين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ان لا تعبدوا الا الله ولا تياسوا من روح الله (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) فقاتلوا اولياء الشيطان بها امركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن .

وما لا اخصه بالتذكر لقومى وعشيرتى بما يشد امر الجماعة ويضع عنها امرها ويحكم اواصر الجامعة ويرنع لها ذكرها (ذلك بان الله لم يكن مغبرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن في الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل انتصافر والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على اهل النفاق والدهان والمتفرقين في المذاهب والاديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الاقوياء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ - ١٩٢٢)

ارهاصات الاحداث واضحة في المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة ابو الكلام ازاد ترجمة عبد الرازق المليح ابادى ، وقد جاء على اثر ذلك ان وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعدة الديمقراطية الغربية .

وبدا اثر ذلك واضحا في مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفي نفس الوقت احاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى اسماها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الاولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القهرانيين التى اثارها محمود عزمى والسسمى

لإلغاء الأحكام الشرعية وما يتصل بذلك من إنشاء جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها برئاسة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخرى عن كوارث سوريا في سنوات الحرب وما فعله جمال باشا في سوريا للأمر شكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الإمام محمد عبده وفتوى شيخ الإسلام بأن الكمالين بغيا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية .

وفي افتتاحية المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترف والفسوق المهلك للأمم والمفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بآزالة الأحقاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة في أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنار : الى وفاة الشيخ رشيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التغريب والغزو الثقافي الذى تاده على عبد الرزاق ومحمود عزمى وطه حسين موقفا حاسما وكشف زيف هذه المخططات ومضى فى طريقه فى الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف فى الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى أصيل رالى بناء المجتمع الربائى الأمل .



م ٢٤ (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

لا ريب أن أضخم الأحداث التى اهتم بها المنار فى هذا العام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومها فى الاسلام كما قدمت كتابا صدر فى أنقرة ضد الخلافة لعله هو أحد الكتب التى اهتمت بها الشيخ على عبد الرزاق فى كتابه كما أشار الى فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فأشار الى النهضة الأفغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى ألقاه امام المحكمة الشيخ أبو الكلام آزاد .

كما أشار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحقيقتها ومنشأ الطعن فيها ، كما

كشف زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالأحمدية ، وتناول بالعرض بوضوح تعبير المحمدين وبرنامج كيدهم للإسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث وأولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهي ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شبيب أرسلان عن انتداب العرب في سويسرة في القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشوكاني .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان في الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والانغاني .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبرة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوامل الصلاح والفساد في الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله بالالفه بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لأن « المنار » انما انشئ ليقاظ الشرق وتمدن الاسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه وأصول العلم لا لجديليات المذاهب الدينية ولا تايد العصبيات الجنسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث واخاذيع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك الحراب لأن الأمة اذا احييت ، اُهيئت من العلوم ما كان ميتها ، وانشرت من الفنون ما كان رميها ، واذا ماتت اُماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

واستطرد يقول : ومن آياته الماثلة أمام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التي فتنت أوربا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفطائع في حربها ومن آياته أن شغل عرش دولها المتهورة وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضعضع ثرواتها وأوقع الاضطراب في معيشتها ، ومن آياته أن اذل جبروت أعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان سبعا سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيها ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متبعة للأولي

ومنفذة لها ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم تفرقتا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقتا في الإمامة بالعصبيات فصارت الأمة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كليتهما وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجهت بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه في العدد الأول من المنار كتب في بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وأن البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، وأشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذي أقامه عليها الاسلام في عهد الراشدين ، وقال : الا أن إقامة الامام هي التي تحبى هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتحم به كؤودا وتجشمه منالا بعيدا ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان أطمعهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : أحمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابي .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامي هي أبرز الجوانب التي يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسائله الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين في مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصري ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانتداب الديني والسياسي في الجمهورية

التركية والغاء الخلافة (عبد العزيز جاویش — محمد شاکر — أمین الرافعی) وموقف العالم الاسلامی من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية في طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الأمير الخطابی والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

- ١ — التفسير والفتاوى .
- ٢ — دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشري في طبعة جديدة لدار الكتب المصرية) .
- ٣ — قضايا المجتمع الاسلامی :
- (١) تزويج المسلم لفير المسلمة ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونی .
- (ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .
- ٤ — الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وإبطالها بقلم الامام ابن تيمه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات السرية .
- ٥ — قضايا التبشير والاغراء بين التصدى والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانية .
- ٦ — الأزهر ماضيه وحاضره ومستقبله .
- ٧ — ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه في تركيا .
- ٨ — وفيات الأعيان : الشيخ محمد المهدي — السيد محمود شكرى الألوسى ، الشيخ سالم أبو حاجب .

ويقول السيد رشيد رضا في الافتتاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشته قد شاخ وشاب ونحمد الله ان كان وقع الشوائب التى شبيبت الرأس ولم تشيب العزم واليأس ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى وضعناها في أول نشأته .

ويقول : سنتقض بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية والاحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم في مصر ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات الشهورة .

المجلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هي كبريات الأحداث في العالم الاسلامي وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين أن ينتحلوا أى حكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

- ١ — ابن السعود واستيلائه على جميع الحجاز والوهابيون والانفراء عليهم .
- ٢ — أوروبا والاسلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاسلام في أوروبا فهمه وانتشاره .
- ٣ — سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .
- ٤ — حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطايبى .
- ٥ — الدولة التركية في تطورها التفريبي ، وجمعية الاتحاد والترقى .
- ٦ — الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .
- ٧ — حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرجين من العرب .
- ٨ — أسبانيا والعرب في الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بها واكرامه الاسبانين على النصرانية وعامة العرب واواخر العهد بتسليم غرناطة .
- ٩ — عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافى ، عند ترجمة القرآن وكيف تجعله أعجميا ولبس البرنيطة كما تحدث عن أخطاء الصوفية (الرفاعية والبطائحية والشعرانى وخرافات) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجعد بن درهم والشيرازي الصوفي والصدر الروبى .

وهديك عن كعب الأحيار ووهب بن منبه كما أورد مناظرة ابن تيمية
مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الإسلامية
البارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقي والأستاذ الإمام والأمير
شكيب أرسلان وجمال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهندي
ورفيق العظم وفؤاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قدم عددا من الكتب الإسلامية الهامة التى ظهرت على مدار
السنة :

إيقاظ الغرب للإسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء
وحاضر العالم الإسلامى وجواشيئ التى كتبها الأمير شكيب أرسلان وخلاصة
تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الإسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المبنى
والمحلى (ابن حزم) وأسرار البلاغة (الجرجاني) .



وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

ان أهم ما ظروا فى هذا العام اقدام الترك على نشر ترجمة للقرآن
وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محل القرآن العربى
الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفسها
وبيان الباعث عليها ، مسألة الخلافة فى جميع وجوهها (فى المجلدين
٢٢ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همة فى المجلد السابع والعشرين موجهة
الى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم
الى هدم العقائد والتجربة على الفواحش والزائل وتقطيع الروابط المالية
والقومية واعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن المأمية حتى
انبلشفية والى مجاهدة البدع والخرافات القديمة التى يبتها أهل الطرق
الذى تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثة كالسيحية القاديانية ،
وكل هذا من قبيل الهدم ثم الى تأييد دعوة الإصلاح وتجديد أمر الإسلام

بالرجوع في عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعله لا يتم الا في جزيرة العرب .

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ - ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التي ما تزال تشغل المنار في مجال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الالحاد في مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التي لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلي لطله حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للتحطتين :

١ — البابية والبهائية في بلاد العرب .

٢ — القاديانية في البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن أخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الاحبار ووهب بن فينة ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .
كما أورد بحوثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، وأحكام السفر والاقامة لابن تيمه وفتاوى حول صندوق التوفير في البريد ، وقضايا المجتمع : المرأة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الأرب ، وكتابي الخضر حسين وبخيت المطيعي في الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز في علم الاجتماع ، ودروس في التاريخ الاسلامي ، ورجال المملكات العشر وبلوغ العرب في أحوال العرب ومن أهم الكتب التي صدرت في الرد على كتاب طه حسين كتاب مصطفى صادق الرافعي « اعجاز القرآن » .

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن أحوال المسلمين فقال : بالأمس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الأجيال الوسطى

في تاريخه ، واشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دولة تركية
هى اشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هى ارض
دولة لتجديد هدايته واعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها
وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت
فى مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأكد أمره ،
ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم فى كتبه وعلى السنة
رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشـو المنكر فيصير كالمعروف فيختل أمر
الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحديث) .

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وضيروتها لقب
تشريف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه فى الحكام المستبدين والزعماء الظالمين
وضعف الدين فى جماعات المسلمين الا قليلا منهم كانوا يظهرون ضيقا
ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة وأول ما بعده الإصلاح
الوهابى فى نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمد بن عبد الوهاب) يدعو
الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس
فى كتابه وعلى لسان رسوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله
ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره
حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الإصلاحية بقوة سيوف البيت
السعودى فى جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجددون
للاسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف
كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانية
فحاربتهم فى جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة
مصر الفتاة فحاربتهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكتف الدولة
التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منها وأشأم ،
وهى حرب الدعاية بالطعن فى عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ،
وخيرهم شرا وعرفهم نكرا .

وكتب المنزلقون في ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من ثئون الكذب والبهتان ما لا يخطر الا في بال الشيطان .

وألقي رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة بين آل سعود وآل الرشيد في نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المؤيد بنصر الله وتوفيقه واستعادته لنجد ثم استيلاؤه على اماره ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هي الفرصة السانحة لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما أضاعوها أول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التي شوهدت الاسلام في القرون الوسطى وتفاقمت وطفى طوفانها في القرون الأخيرة وتحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة مهاجمها وتحدث كيف تروج في المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التي راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب أحمد زيني رحلان وامثاله عن الوهابيين والدعاية التي اذاعها الشريف حسين وأولاده في الطعن في الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الأتراك » الذين يصمون الاسلام لأنه عربى ، وقد رأى بعضهم أن تكون صورة الذئب الأغبر شعارا لهم لأن أجدادهم عبدوه وقدموه في جاهليتهم الأولى ورأينا منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على — محمد على .

المجلد ٢٨ (١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعة في مختلف المجالات وكان أبرز اهتمامات المنار بروز المملكة العربية السعودية ، ومعاودة جدة بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز في الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب

كما أشار الى مشروع بريطانى لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة فى قضية طه حسين ، كما تحدث فى فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الأحوال الشخصية والنهضة السائبة والزى الاسلامى والربا وحقيقته وسبب تحريمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب النشاشيبي فى تكريم شوقى .

هذا بالإضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن ومقارن المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبى ، البيت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الإعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن أتاتورك وحياته وأعماله فى تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) فى مواقفه التفريية وفى هذا المجلد عرض تراجم لابن تيممه فى القديم وأحمد عباس الأزهري ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعى .

وعرض السيد رشيد رضا فى افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير فى اختيار الهزل على الجد وإيثار الفساد على الإصلاح ونحمد الله أننا لم نسلك طريقا فى الإصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سيرتنا فى نقد الحكومة الحميدية ثم فى التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفى جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفى انكارنا على متبعى المذاهب من الشيوخ النجاشيين ورجال الطرق الخرافين . وقد عرضت فى هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته الى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائده الاسلامية وهداياته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع في مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم أن الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التي ذاعت في العالم منذ القرن الثالث عشر من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة وأهلها وأول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الاسلام الى عهدنا الأول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن انجبرتى الأزهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى في كتبه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت في تاريخ الاسلام ، كما أنه أتيح لى الاطلاع في اثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الامام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الأجنبى في العالم الإسلامى وآثار الاستعمار في عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للمنار ، وفي مقدمتها الدولة التركية العلمانية وأعمالها في القضاء على روح الاسلام في الأتراك وأثر ذلك في البلاد الإسلامية الأخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر في مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبى وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى في نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسمومة .

وامتداد هذا الأثر الى فارس والأفغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية في الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الإسلامى العام في القدس من أجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القومى لليهود ، وفتنة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكماليين على الاسلام يتجلى في انقستبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وأحاديش

عن السنة والشيعة ، والوهابية والرافضة ، ورسائل اخوان الصفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الاحمدية خلفاء القاديانية وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن ، وفيما يتعلق بالأزهر أورد مذكرة المراهى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن الاصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد سيف الرحمن اللورد هدى واحاديث عن الوهابية والصحفى النمىوى يحيى بك كيف صار مسلما ، واحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنة الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ المراهى وأحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الالوسى والأمير شبيب ارسلان وسليم البخارى وسيد أمير على والشريف حسين وعبد الرحمن الدمرداش وعبد العزيز جوايش وعلى سرور الزنكونى ، وجاءت ردود على كتابات طه حسين وعارف الزين وهىكل وسلامة موسى .

كما عرض المنار الأفكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والبخارى واحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .



وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدنية أوربا الماديا فقال أنها لا تجد لها منقذا من الهلاك القريب فى التنازع بين عباد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا باتخاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، أقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء المختالحين لتفنيها ، وكان شيخنا الأسبق إذ الامام موقفا بها وصرح به

في الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهى تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : سيد أمير على — سليم البخارى — عبد الزعيم الدمرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامى ، ووجدت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره في قرن فوق انتشار النصرانية في عشر قرون وجهاد أوروبا له بالسلاح والعلم والسياسة للدلالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام في أوروبا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، وأحاديث للمستشرق مونتيه الذى ترجم معانى القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درفيجم عن النبى محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوى جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوى ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمى حول مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلاف الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيمية ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين في المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفي المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنة القرآن على التوراة والانجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا وأحاديث عن اسماعيل باشا وادخاله القوانين الفرنسية في مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والرد عليه ، كما عرض رأى تولستوى وعقيدته

في المسيحية ، والصوفية وأخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهري والتعليم فيه .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد - : الراغب - أمين سامي .

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمد الله أن قدرنا على استمرار إصداره في تلك السنين النحسات ونرجو من فضل الله تعالى أن نثبت على هذا التاريخ في إصداره ما دما متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والطبعة ، نذكر القراء في فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد امتدت في هذا العهد من خصومة في الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها ، ولست أعنى بهؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغيرهم بل أعنى من هم أكثر منهم وأضر ، من ملاحة المسلمين من الترك والبرانيين والأفغانين ، ودعاتهم وأخوانهم من المصريين وأشباههم من البهوريين والعراقيين ومن الهندود والأفريقيين وسائر الشعوب الاسلامية الذين سممتهم التربية الفرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الأسراف في الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الاتحاد على كل من يسمى خطنة هؤلاء الكمالين الى تبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابذة شعبهم ، بمنع الثقة العربية جميع بلادهم وترجمة القرآن لا تؤدي حقائق معانية من لفهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للأجهزة على الفاظه واساليه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطه اصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر فافساده أعم ، وأكبر من افساد الكافر الأصلي المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يفترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحة بلادنا طغيان : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة في مصر (١) معروف وفي حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين (٣) الذي كتب مقالات في تنقيح النص في الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب ان تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات في سن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشئ من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وأفراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتنعون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك . أما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفوا بالزيغ والاحاد وهم مع ذلك يضعون في أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون في آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكثر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلاً من جمعيات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشيفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من أنبأنى أنه يوجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن في شريعة وفي حكومة وفي لغة وفي أئمة الاسلام وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم في بعض الصحف العامة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الانتلافية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن في القرآن ترجيعاً لأصوات بعض اعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور أنه تألف في مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه ، وقد

(١) سلامة موسى . (٢) سامى الكيالى .

(٣) محمود عزمى . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (إسلامي) ضار وإن جماعة كانوا الفوا حزبا ولما الفت في مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات في ناديها ، وليس الاتحاد في مصر حديث العهد بل نبت قرنه من التفرنج منذ أكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع أهله باطفاء نور الدين وقد فند الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته في الوقائع الرسنية . واشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة في مجلس النواب من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم أو قال يحترق كتابا يبيح تعدد الزوجات . ولكن هذا الماخن الاباحي لا يحترق قانونا يبيح الزنا للرجل والنسوان وتعدد البغايا والأخذان ، وطلب أحدهم وقف الجلسة بضع دقائق لأداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن ينعوا الصلاة مطلقا أو في هذا المجلس .

وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والاتحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم المسوخة ونشرت الكتب المنعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا ان أولئك أوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذي اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية في اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها في الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر في القدس مهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة في لندن أنه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا في جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الأول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرة من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية في مستعمراتها الافريقية وسوريا .

(٣) ألغت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن في الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية واعادت

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض ساستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركه ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمية

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلقات يمشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ويغشين الملاهى والمتنزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن أشد من الأجنيات عريا وتهتكنا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزى بأهله الذين يمهدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لسائر بلادهم . »

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المفرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكرا ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميزرا مهدى رفيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الفمراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى أحمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت المحامى ، طنطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محمود يونس الأندلسى ، الفاروقى ، السيد محمد عفيفى . وأحاديث من محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف ايطاليا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت المنار بأحاديث وكتابات عن اعلام الاسلام في العصر :

الامير شكيب ارسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » .

الشريف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعاملته للبنوك ،
أمان الله خان ، أحمد عرفان المصلح الهندي ، أمان الله خان ، أمين الحسيني
مفتي فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والاستاذ الامام ،
محمد علي وشيوكته علي ، علي سرور الزنكلوني ودروسه في الأزهر ،
المراغي ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانية والدعاية لها في سوريا ، والمسيحية
واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة في خلافهما والوهابية عقيدتها
ومذهبها .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى وفتاويه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقى وسياستها وأصول
نظامها .

وقد شغلت المنار بقضايا التقريب والغزو الثقافي فتحدثت عن مذهب
دارون ونقضه ، وعن الزنادقة والملاحدة ، وبدع أهيل الطريق ، وحديث
عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم آية الفار .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأسبابها ، وحزيرة
العرب وبروسية البلشفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مسلمى الصين
والترك وتهديدهم للاسلام .

كما خصصت أحاديث عن الريا ، وعن مساواة المرأة والرجل
في الميراث ، ومناظرته مع محمود عزمي ، وأحاديث عن الامام ابن تيمية
عن جمع كلمة المسلمين تحت قاعدة أهل السنة والجماعة ، وأحاديث
عن الشريعة الاسلامية ونسخ الشريعة المحمدية لما قبلها ، وترجمة الامام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :
ان أنصار الجمود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سماعهم
الأستاذ الامام حملة العمام وسكنة الأثواب العباب قد أثار بعضهم
فى هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم
فى مصالح الحكومة ، ومن فريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ربح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام
وقال بتفضيل الذكور على الاناث فى الميراث ودعا المسلمين الى نبذ
الفرائض المقررة فى نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اثارة العصبية
الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : أعلى الله مناره وأعز مهاجرته
وأنصاره وأنشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت
وسائله وكتبه ، فتضاءلت أمام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف
على طريقة الأستاذ الامام فى الإصلاح بعدد أن اتفقت الكلمة على امامته
وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة أمام جلالته من استبداد أمير
وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام فى هذا العصر جيشان قويان من محافل انكفر
أقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا)
وأضعفهما جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم
وحملة الأقالم من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد فى هذا السبيل ،
سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته
فى عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر
وغيرهم من المصنفين فى العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام
لتصفر وتتضاءل فى جانب خدمة هذا الرجل وأستاذة ، فان علومهم
ومصنفاتهم كانت فى العهد الذى تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت عدايته

ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفي خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب في كساد ألا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس واكثرها محتكرة أو كالمحتكرة » .

• ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٣٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان أبرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من اعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار احاديثه وابحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحديث عن عدة قضايا هامة :

- ١ — تعلم اولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .
 - ٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .
 - ٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .
 - ٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .
 - ٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو اخراج طة حسين وخروج لطفى السيد .
 - ٦ — موضوع البقاء الرسمى .
 - ٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .
- وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التغريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :
- ١ — انكار الوحي ورأى الماديين واستعراض لرأى مونييه ودومنجم .
 - ٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .
 - ٣ — تنقيح ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .
 - ٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ - تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد في مذكرات بلنت
عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الأعيان :
محمد توفيق البركى ، أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم .

وأحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر أسلم
(الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت
عن جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر في منتصف ١٣١٥ هـ
لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سند خطيب الجمعية
والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حي
شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام
المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين
في الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » وأشار
انى أعضائها أمثال الطيب العقبى وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد
الطريقتين التيجانية والشاذلية .

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار فى افتتاحيته لأداء حقوقه
المطولة منهم منقوصا منها خمسها فنصفها لثلاث تضطره العسرة والفقر
الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا
يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأستاذ
الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار
ولا نقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما ولا نعو منه شيئا ولا نشكوها
الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » . .

• ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لوفاة : حافظ إبراهيم ، أحمد
شوقي ، محمد توفيق البركى .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية في هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربري الذي يحاول أن يفرض الجنسية الفرنسية على البربر في المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجري هذا مع اتساع التبشير والتنصير في مصر ، ويجري الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى عن النصرانية والصليب والرد عليها وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحي والنبوة والألوهية ، هذا في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحي وفي نفس الوقت الذي تستعرض الأوضاع في المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربي أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدي (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض مطاعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذي رذ به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندي ، وتحدث عن طه حسين وأخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الاسلامي الهندي ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الاسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة في ألمانيا الذين تحدوا الحكم النازي وعرض لثورة المرأة الاباحية وخطرها على الأسرة فالامة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفي والهندي فعرض للشعراني والتيجاني وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنيطي والسيد أحمد شريف السنوسي بمناسبة وفاتهما .



واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الاسلامي أمام أوروبا في طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التي كان الفبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية ، التي ساعدت

اعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التى عادت لها وهم الترك
والتي ألزمت الحياد وهم الأفغانيون واليرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من أنقاض الدولة العثمانية دولة جمهورية
مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية والعمران المادى ولكنها الحادية
(لا دينية) ترهق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح
الاسلام كامنة فى الشعب التركى ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط
عند انتهاء حده . أما الأفغان فشرعوا فى عهد الملك السابق أمان الله خان
يقلدون الجمهورية التركية فى الالحاد وفى تقليد الافرنج فى الحضارة المادية
فأدال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس اليرانيون فهم وسط بين الأفغان
والترك ، والدول الثلاث استبادت من ضعف دول أوربا وتم لها استقلالها
بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وقوتها
بين أوربا الرأسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية
التي ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند
ومسلموها زهاء ثمانين مليوناً ولكن الوثنيين فى جملتهم أكبر عدداً وثروة
وعلماء وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الأندونيسية والمسلمون فيها
الأكثرية الساحقة (٦٠ مليوناً) وهم أقل حرية من الهند لضغط هولندا
عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عدداً ولكنهم
قليل فى الوثنيين الذين يزيدون على أربعمئة مليون ، أما المسلمون فهم
أرومة الاسلام الأولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراکش
الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر
المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعاً
للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة
وإطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الامريكية
الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انكلترا وفرنسا فقد جزيهاهم
بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكمله وتجدد
قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة
تربى النشء عليه وتعلمه وتناضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجددنه وتظهره

للأمم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر في حضارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى اشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه في جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : محمد امين الشنتيطى ، أحمد الشريف السنوسى .

المجلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م)

في هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربية والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاسلام لعقد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاودة الطائف هو أبرز حديث وهناك أحاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل سعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد أمرب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حديث آخر عن حركة النازى اللادينية وشجاعة الفاتيكان وغاية مصطفى كمال من مراحل وخطة الملك عبد العزيز في وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الازهر وعودة الأستاذ المراغى شيخا للأزهر وخليج العقبة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم أحاديث عن الاستشراق ، وعن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ أبو زيد وكتاب حياة محمد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والأحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحي المحمدى في مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث في مصطلح الحديث للقاسمى ، هذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة منثورة من كل مكان : حول ترجمة القرآن والأحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الأحاديث وقد وصل السيد رشيد رضا في تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة في تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تأبين أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجلد الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الاسلامية بعد حرب الأمم الكبرى ، راغباً في أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار وما أصاب بعضها من الريح والانتعاش وما هي عرضة له تجاه دول الاستعمار وأشار الى وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتها في الحرب وجاهدت معها بأموالها وأنفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الاعجمية التي قابلتها والتي سالمتهما .

يقول : ان انكلترا لا تزال ممثلة في ارهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربية حاجزاً بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة في جعل عرب سوريا مللاً متفاوتة في الدين وشعوباً متفرقة في الدنيا وقصره على ابقاء الاكثرين من المسلمين محصورين في سجون المدائن الأربع .

ولم تكن انجلترا في وقت ولا في مكان شراً من فرنسا وأظلم مما هي الآن في « فلسطين » ولا تزال انكلترا بارزة أمام الأمة العربية بروز الفاتح القاهرة والمستعمر القاهرة تنازعها حقها القومي والديني في جزيرتها المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدعت الامام يحيى حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الأحاديث فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (أربعون سنة) وانها تتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجراة من الدولة الأجنبية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطانها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم اشار الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق في البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وأشار الى شعب التركستان الصيني وكيف استقل بعد ثورة حامية النوبليس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العالم كله حتى حجبته المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر الناس ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال - كما قال السيد المسيح عليه السلام - ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الافرنج المستقلين في العقل والرأى ليقولون في هدايته ما يدعون به قولهم اليه ، وان دولة اليابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق الى الاهتداء به .

ولقد توفي السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التي نشرت في آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هذه الجولة الضخمة المباركة انتى قام عليها وتراه في العدد الأخير ما زال في حماسته وإيمانه وثقته بالدعوة التي يحمل لواءها يقول : ما قصر منشئ المنار في شيء كما وقف عليه حياته في خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة في فاتحة العدد الأول بل شمر واستبقت فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب الاسلام من الوهن والضعف والفرقة وما يحتاجون اليه من الإصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مما لم يسبق له نظير الا في صيحة العروة الوثقى التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الى أنه فكر في وقف إصدار المنار في سنته القابلة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة عسى أن أجد له من يقوم بنفخته من الأوفياء منهم ، يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد ربانى الدين على الثبات واتقاء ابطال عمل أشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

البَابُ الثَّالِثُ

النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح)

كما صورها المنار

مُدْخِل :	النهضة الإسلامية
الفصل الأول :	تفسير القرآن
الفصل الثاني :	مفهوم أهل السنة والجماعة
الفصل الثالث :	الصوفية الهندية والفلسفة
الفصل الرابع :	السنة والشيعة
الفصل الخامس :	مواجهة الأخطار والتحديات
الفصل السادس :	شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الإسلام
الفصل السابع :	ما حققته حركة الإصلاح

مدخل

النهضة الإسلامية « حركة الإصلاح » كما صورها المنار

كان الهدف الأول الذي توخت المنار القيام به هو تأصيل النهضة الإسلامية أو ما كان يسمى « حركة الإصلاح الإسلامي » وما يتصل بها من ظهور حزب الإصلاح الإسلامي الذي كان يقوده الشيخ محمد عبده وقد أشار الى هذا الحزب صراحة ولأول مرة للورد كرومر في تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الإصلاح كلمة غربية أساسا فهي تصور هذه النهضة بصورة حركة الإصلاح التي قامت بها جماعة المصلحين في المسيحية ، وان كانت في المعنى تختلف اختلافا واضحا ، ويتحدث السيد رشيد رضا على مسيرة المنار الطويلة عن الإصلاح الإسلامي ، والاصلاحان الديني والسياسي وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنار في كل ما عرضت له من قضايا كان تمثيلا حقيقيا لمفهوم حزب الإصلاح الإسلامي الذي يقوم على فهم الإسلام فهما صحيحا من منابعه الاولى » .

ومن هنا كانت مفارسته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التي أولاهها السيد رشيد رضا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالإضافة الى أمرين آخرين وهما :

- ١ - نحلة البهائية والقاديانية وما تنفرع منهما .
- ٢ - جماعات التبشير والاحاد والاستشراق وما يتصل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعذائهم للإسلام .

ويقرر السيد رشيد رضا : « ان مفهوم حزب الإصلاح الإسلامي في استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب في الإصلاح وانما يكون بقوة الإسلام وبالعودة الى أصول الإسلام وآدابه وتعاليمه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذي سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذي يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه في العقائد الدينية والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الإصلاح الاسلامى : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الإصلاح الدينى كما يفهمها حزب الإصلاح وهو ما اقترحه على مقام الخلافة الاسلامية (م ١ / ٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الإصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الإصلاحات السياسية والدينية وتلازمهما (م ١ / ٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه اتباع الطرق الصوفية سواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة بزيارة القبور وعقدت المنار فصولا متواليمة عن الطريقة الرفاعية والطريقة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لانصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية وأصل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فساد خطة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجة للكرامة ، وتحدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة التوحيد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢ / ٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمقلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم المالية وعفاء مقوماتهم ومستحققاتهم الموروثة وانتحال جنسية لغوية أو وطنية جديدة ، أما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيراً إلا ما يسمونه الموت صبراً ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار إلى حزب آخر وسط بين ذينك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطريف ليكون متحداً بالمجد التقليد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومثخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم ليظهر خواصه ومزاياه في اكمل ما يمكن أن يكون عليه ، هؤلاء هم حزب الوسط شهداء علي الفريقين ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم .

وفي تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفي مراجعة من مراجعات المنار للحركة الإسلامية في مصر يقول :

« ان حزب الإصلاح هو وحده محل الرجاء لأنه يقدر ميزة كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعهم ومضاره ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالأمة في طريق يحفظ به مقوماتها ومثخصاتها وتعيد الموروث النافع منه إلى جديد وتندرج في استبدال النافع بالضرار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرجين ، ولم يكن طلاب الإصلاح إلا أفراداً من النابئين في بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد من فطرتهم وتوفيق في سيرتهم إلى معرفة الطريقة المثلى لصالح أمتهم ، وعنده أن الجامدون من الشيوخ أشد حسداً وبغضاً للمصلح الديني من غيرهم .

ويشير السيد رشيد رضا إلى الإصلاح الإسلامي فيقول :
ان له طريقين لا ترتقى أمة إلا بأحدهما أو كليهما ، أما من تبيل الأمة كأوربا وأما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان العقبات هما رجال الدين ورجال الحكم والسلطان .

يقول : « ويتوقف الإصلاح الإسلامي قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامدوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والأجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا للمة ولا يسقط الوجوب بهم .
ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين ان يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعيات) واحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التى يحتاج اليها البشر فى معاشهم واجبة على مجموع الأمة » (١) .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا فى المنار خلال الاعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ - ١٩٣٥) تستطيع ان تصل الى نظرية كاملة للإصلاح الاسلامى تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة اهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الضلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذى انزله على رسوله وحرموا البصيرة التى هى سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذى هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا يnehون عن ذلك ويعلمون أنه يعين الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء » (٢) .

ويطالب السيد رشيد رضا (فى نطاق دعوة حركة الإصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالى فى كتاب

(القسّاس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والاخذ بالجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحريره وتقبل ما سهل عليه من أجمع على ندبه واستحبابه » .

وقد توسع نطاق البحث الذي كان يرمى في مجمله الى ابراز مفهوم أهل السنة والجماعة الذي هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التي حملتها حركة الاصلاح الذي قام عليها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا في كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالي والامام الاشعري .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا في طريقه لتوسيد مفهوم أهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجيمة والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامي ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد اقام السيد رشيد رضا مفهوم أهل السنة والجماعة على قواعد اساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذي بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشرعية الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج أمور الأزهر والتربية الاسلامية بعامة ، وبالجمله فقد أضاع الطريق تماما في مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده في شأن اليقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد ان تولى آل سعود الحكم في الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفسير القرآن

يعد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبده ونشره المنار وأتمه السيد رشيد رضا هو بمثابة حجر الرقى فى تثبيت مفاهيم النهضة الإسلامية ، ويشير صاحب المنار فى أكثر من موضع الى أنه هو الذى اقترح على الأستاذ الامام أن يكتب تفسيراً للقرآن فى رمضان ١٣١٥ أى قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بأن اقترح عليه قراءة درس فى التفسير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرتة فقرأ الى عبارة من كتاب فرنسى يطعن فى القرآن فطفق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتعنت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تقيد القلوب المعنى ، لا تقيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى أيدي هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشرعهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر فى النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يسأله عما يخفى عليه منه أما اذا كان مكتوباً فمن يسأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالازهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفسير غير كافية وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتياً للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨/٨٩٦) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام في قراءة التفسير وطريقته هو في كتابته ، فقال : اننى لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم في هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التي اعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس . »

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٢٨/٦٤٦) الى الحكمة من تقديم تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهدنا ولا نزال نشاهد في بلادنا أن طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استبعاد الأجانب لها كما جرى في دولتى الآستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يقول ولاية أو وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات واللذات والزينة ، وهكذا تفعل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل وأكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى في موضوع تنزيله وفائدة ترتيبه وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسنن في العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيريه ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازى صارفا جديدا عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهدها كالهئية اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين في ايراد مثل ذلك في علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر في تسمية تفسير الآية فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم النبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن ارم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفي أمور الغيب بن اشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى وكان الواجب جمع الروايات المفيدة في كتب مستقلة ك بعض كتب الحديث وبيان قينة أسانيدها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب اصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والفلाम الذى قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولاً لا صحيحاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احدهما حمل ألفاظ القرآن على معانى اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب في الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذاهبهم أصولا والقرآن نبرعا لها يحمل عليها وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالرأى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان أكثر ما روى في التفسير المأثور أكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول فالفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر في سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئین يكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم في طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميلا الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سيطوته آثرت في قلبى تأثيرا أدخلت به في طور جديد من حياتى ، وأعجبت جد الاعجاب بمنهج تلك المثالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم في الكتابة ومداركهم في الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى في ذلك ثلاثة أمور :

١ - بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدليها وقوتها وضعفها .

٢ - بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجميع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك أنه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ - ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزي لمصر ١٢٩٩هـ ، ونشأت العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثاني (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذ في هذا المنهج ومربيه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتقى عنه وكان قد جاء الآستانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه في (الإصلاح الاسلامى) وما زلت أترصد الفرص لذلك حتى سنحت لى في رجب ١٣١٥ عقب اتمام تحصيلى للعلم في طرابلس وأخذ الشهادة العالمية وإجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار للدعوة الى الإصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أوردناه من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين في الاسلام وفي هذه المرة كانت اجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الاغرنج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثة المسلمون باعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتموا اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم تد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فأين هذا مما تسميه النصرارى خالقهم بالآب الدال على الرافة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللفظ والفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بمقتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : نو كتبت تفسيراً على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول في هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٣ عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطا » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين اذ توفي لثمان خلون من جهادى الأولى منها رحمه الله وإثابه . وكانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والاعراب ونكت البلاغة وفي الروايات التى تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذى هو أوجز التفاسير فكان يقرأ عبارته فيقرأها أو ينقد منها ما يراء منتقدا ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت أكتب في أثناء القاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، وما لبثت أن أقترح على بعض الراغبين في الإطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الإخوان بمصر أن ينشره في المنار فشرعت في ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما أعدده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينتج فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أنكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعرزوا اليه ، بل تفسيرا للكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استناده منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت في بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بآمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما أكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه مما فهمته منه وان لم أكن كتبتة عنه في مذكرات الدرس

لأن إقراره إياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت أرى من الأمانة أن لا أعزو إليه إلا ما كتبه عنه أو حفظته حفظاً ، وصرت أكثر أن أقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت في حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حديثه وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه أيداعه ما تلقته من هذا العالم الكبير المشرق البصيرة وذى النصيب الوافر من ارث نبي الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه « **وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** » وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرى الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وإنى لما استقلت بالعمل ...

(م ٢٨ / ٦٤٦) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده فى مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب أكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها إلا أصحاب النفوس الزاكية والعقول انصافية . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ - النظر فى أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازاه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشري وقد ألم بشيء من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ - الاعراب .

٣ - تتبع القصص .

٤ - غريب القرآن .

٥ - الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ - أصول العقائد ومقارعة الزائفين .

٧ — المواعظ والرقائق .

٨ — الاشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الاحكام العملية التى يسمونها فقها هى اقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتهها من حضيض انجھالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما أخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم اشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى أعنقد أن كل ما أنا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعلمى وعلمى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، وأشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الالفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الالفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثاني

مفهوم أهل السنة والجماعة

كان تفسير القرآن الذى بداه الشيخ محمد عبده وسار نبيه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابرار مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عامما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعدد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدًا، وداحضا. ويرى أنه من الضروري تحرى مذهب السنة الصحيحة فى التفسير من وراء المعتزلة والأشعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليها اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هذين المذهبين ولمن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهبنا معينا دون النظر فى كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التحيص والتجديد ، وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من يعنى به من العلماء الأعلام وخالصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه أضعافها فكل أفعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة فى العقل تسمى فى اللغة علة وجاء ذلك فى القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من أهال العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفكر الصوفي والتقليدى وفكر الكلام والفلسفة والمنطق واهياء مفهوم أهل السنة والجماعة بعيدا عن كل

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء اكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ،
وقدم في ذلك كتاب شرح عقيدة السفاريني (الدرة المضيئة في عقد الفرقة
المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معا كما عرض لكتاب
الشيخ حسين الجسر في العقائد (الحصون الحميدة لمحافظة العقائد
الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة في العراق وسوريا من انرافضة
والمشبهة التي تحيي ما فعله عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض وتحدث
عن الأحاديث الموضوعة والوضايع وأبطل مذهب القدرية والجبرية
ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار إلى
الارتباط بين السلفية والأشعرية « فهما أهل السنة والجماعة لم يفرطوا
تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على
معاصي الله فمذهب سلف الأمة وأئمة السنة كافة أن جميع أنواع انطاغات
والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأنعمال
العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنهما وقبيحها ومذهب سلف الأمة
وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد
فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون
تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عايتها
هذا القدر ثم ان الأشعري أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله
وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنية والزنادقة
ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشيع والاعتزال من أبواب الزندقة
والالحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة
والنصيرية الاسماعيلية الحاكمة وهم انها يدخلون الى الزندقة والكفر
بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

واناض في عرض شرح عقيدة السفاريني ، من رجحان مذهب السلف
على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل العقلية والعقلية وقد اقتبس جل تحقیقاته
من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك في مواجهة كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

وأشار في أكثر من موضع الى وحدانية الالهية ووحداية الربوبية ، فأما وحدانية الالهية فهي قوله أن لا تعبد الا الله وأكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذي توله العقول في معرفته ، أما وحدانية الربانية فهي قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذي يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم (م ١٠ / ٢٥٥) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبي : كان لأخذ الفقه من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر في هذه الكتب المتأخرة كما قرره في كتاب الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتأخر فليس ذلك منى محض رأى ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أو عساني بالتجافى عن كتب المتأخرين وأبى بعبارة خشنة ولكنها محض التضحية والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شيئا زعم أنه منقول أو مستنبط من كلامهم وهو يخالف الكتاب والسنة فهو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان أهل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعري أبو منصور الماتريدى ومن تابعهما في الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه في التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم في الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وأفاض السيد رشيد رضا في عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظار المتكلمين والأصوليين في عصره امامهم (الرازى) « وكان من أقلهم حظا في علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبي) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكي » أنه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفة لنصوص الكتاب والسنة وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه أن فيه كل شيء الا التفسير كما فى كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به فى نفسه فى كتابه وما صح من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الراى والخواطر التى تعرض لبعض الناس فيما لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه وصدق رسوله المتبع لها . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدا ليجد فى نفسه ما لان يحترق حتى يصير حممة (اى حممة) او يخرج من السماء الى الارض احب اليه من ان يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهية المؤمن لها دليل على ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا الى مذهب السلف فى الايمان بظاهر النصوص وفى مقدمتهم امام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى ومن قبله والده الامام الجوينى ومن بعده ابو حامد الغزالى فى آخر عمره ونقل مثل هذا عن الشيخ الرازى ايضا وقد صرح الغزالى من قبل رجوعه الى مذهب السلف ان علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كالحرس للحاج وانما راجت كتبه لأنها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعيهم ولا تنفع فى الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه .

ويقول السيد رشيد رضا أيضا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له أن مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها اكثرها غير صحيح فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الاصلى من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا فى الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم عن الجبرية الخالصة أو الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار فى موضع آخر الى ذم السلف الخوض فى علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا انها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكشفية والمباحث القرطبية ، وكان أئمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وأبى يوسف والشافعى وأحمد وإسحق والفضل ابن عياض وبشر الحانى يبالغون في ذم (علم الكلام) وفي ذم بشر المريسي حتى أن هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس تال يوما بلغنى أن بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق والله على أن أظفرنى به الله لاقتلته قتلة ما قتلها أحد فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحواً من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أن التأويلات التى ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازى في تأسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائى وعبد الجبار وأبى الحسن البصرى وغيرهم هى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمى عثمان بن سعيد أحد مشاعير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخارى . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبائية (اتباع عبد الله بن سبأ) ويقول انهم بمثابة الضربة الاولى التى ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهودياً ثم اسلم ظاهراً وأعماله تدل على أنه يحمل حقداً شديداً للمسلمين .

ويفسح السيد رشيد قدراً واسعاً من صفحات المنار لنشر كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة الذى ألفه جمال الدين القاسمى (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية في المسائل المعروفة عنهما . وأن أول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهرت دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن وأشار الى ما رواه الشيخان البخارى ومسلم في صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) في البخارى وقد اشتهر عن جهم بن صفوان أن القول بالجبر هو اسناد فعل العبد الى الله تعالى وكان المأمون وأحمد بن داود الذى أقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبى في تذكرة الحفاظ (ج ٣٠٠/١٠) لما قتل الأمين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الأمة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء ان تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسل ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفي مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الاصلاح الاسلامى الحقيقية وتحت عنوان (اصل الاسلام) وما طرا عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يعدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الأولى : ان هذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبي اُمى ظهر في امة اُمية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة . وان الله قد شهد كتابه بأنه اكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لأحد أن يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ولا تشريعا مدنيا الا ما اذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما أجمع عليه أولئك الأميون الأولون أو أكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقائد والآراء والأقطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقلية وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللبنش كافة ان يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق في الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التي فرقت الأمة في أصول دينها وجعلتها شيعة تؤثر كل شيعة أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدى سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعى أن أئمتها أعلم من مخالفهم

بتأويل الكتاب والحديث وان بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة
فهم أحق أن يقلدوا ويتبعوا وانما يعلم الا علم بالدليل لا بالتقليد وفهم
النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة
ثلاث مئارات من اركان حضارة الأمم السياسية هي :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة
الوجدان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والخرافات
الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

وفصل ذلك على ثلاث قضايا :

١ — السياسة الدولية : مئارها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان
أشدها افسادا ما كان بين اهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة
وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة .
المنتون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد
أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا اركان الاسلام
من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .

٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص النقلية : تنازع أئمة الاتباع
وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلى نظار
المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على
فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى
بنى على قواعدها ونظرياتها وان بقيت له بقية تقليدية فى بعض
المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات
العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخط بينهما وبين عقائد الدين
ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا
على كل منهى بما أضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تزكية
النفوس بما يوقنها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البر
وأضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العالم
وتسخير قوى الطبيعة لنافع الناس .

٣ — دعوى الكرامات والكشف وتحكمه فى عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعقول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى اذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهليا وصار علماء الأزهر مثل الشعرانى وسلاطين مصر مثل قايتباى خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضرى ، هذا الولى الشيطانى الذى خطب فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ — بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية :
النظريات العقلية التى تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التى بنت عليها لعلماء هذا العصر وغلاسفته فقد أجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شئ يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التى لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية فى المادة والقوة فكيف يجوز اذن تأويل نص دينى قطعى الرواية والدلالة فى خبر عالم الغيب من الوحي الالهى لنظرية ظنية فى عالم الشهادة من رأى البشرى ، واذا بكل تأويل علماء الكلام المبني على قواعد النظر العقلى ومراعاة مدلولات اللغة واشتراط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فأجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم فى اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذى لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاهقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنوة ميرزا غلام أحمد « .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكلتين للبحث وهما الصوفية والشيعية الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفية الهندية والفلسفة هي من أحجار الأساس في بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي في مواجهة تلك الجبرية التي تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهد ودعوى قرب انتهاء الزمان والثواب ومن هنا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله في الكون والتماس هذه السنن في معرفة مهمة الانسان في الحياة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التمس منهاج الله ، وان الضعف الذي يمر بالامة الاسلامية لا يعنى أنه دليل على نهاية الزمان وانما هي مرحلة تعقبها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التي تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندى والفلسفى الوافد على المسلمين ، والذي لم يعرفه المسلمون في الصدر الأول للاسلام .

وقد عرض السيد رشيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هذا النوع من المفاهيم الجبرية فأشار الى أن في بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواظب المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد في دين هذه الأمة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، أما كتب الصوفية فتتضمن فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ولا شك أن خير صوفية هذه الأمة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعى من تصوف أول النهار لا يأتي آخره الا وهو مجنون ، وأنت ترى أن الحارث

المحاسبى من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتهسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا اى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما أنه لا يقول هو مخلوق . ألف الحارث فى أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام أبو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالأثر فائك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح أن الامام أحمد سمع كلام المحاسبى وقال لبعض أصحابه ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بتصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه (م ٧٥٤/٣٠) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه أولى بأن لا ينظروا فى كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث أن امام السنة الأعظم فى عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيئا مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما أنكره هو لأنه شئ جديد مبتدع فى أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك أو لضيق مسلكهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من أصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحبي الدين بن عربى الذى يقول فى خططه وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق

يا ليت شعرى من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت

أو قلت ربى أنى يكلف

ومن شعره فى ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشيرازى وهو أشهر داعية فى عصره الى خرافات الصوفية أنه سأل شيخه فى التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يشكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم في أمر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى في كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ وعارفا بالنصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد أذخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروي الأنصارى ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقى جمع الأول ذلك التصوف جمعا موجزا في كتابه منازل السائرين وشرحه الثانى في كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار في (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلمًا وقد يكون صوفيا في النادر .

وان علم الاثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء أعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفتهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع ففترق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

وأشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمفاخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقى من علم القوم الأشعثشة اللسان زخرفة الكلام بالألفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف ودق التنفارات والصنوج والنفخ بهزمار الشبابة بل والضرب بالآلات الأوتار والتغنى بالأشعار الفرامية المهيجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمون كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذي حققوه كالرقص . (م ١ / ٦٢٦) .

وأشار الى انحراف التصوف بعد أن كان في القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع في الشرع وتعيين المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلاميذته في الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا والبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحثا وجاء منهم في القرن الخامس وما بعده غلاة رأوا مجالا في جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الالهوية باسم الولاية والقطبان والغوثية فوسسوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات .

وقد عرض السيد رشيد رضا في مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة في العالم الاسلامي كالرغائعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق وأهمها علوم الاعتصام بالمأثور في الذكر بالأسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، وأشار الى كتاب الكلم الطيب من أركان النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم وذلك في شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المتأخرة بين الحقيقة والشرعية وجعل الأمر الكوني القدرى كالأمر الشرعى في كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأركان والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه أنهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة .

ومن أصول تلك الضلالات دعوى أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفًا لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكانت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها أصل الأصول في غلاتهم وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وأمثاله ، وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة أصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبيهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وفنون الأحاديث حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق في التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكتابة بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عليها في اللغة ولأجله نرى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل أو تفكير حتى أن المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ١٩ / ٥٢) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه في تصحيح مفاهيم الصوفية أن يورد ما قاله أئمة الاسلام وأعلامه في مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيميه — أما الحافظ ابن الجوزى فقد أشار في كتابه تلبيس ابليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

وأشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرزيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم واراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصباح العلم تخطبوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعري والفقر الاحتيارى ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالحلول والاتحاد . (م ١٧٣ / ٢٢) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيميه فتوى في الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأزراق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم في اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ورياضة النفس وثرية الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة فى العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائيرهم وشاراتهم ، حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية فى التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد نلايات والاحاديث وطبيعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الانكار عليهم فى شىء ، وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله ، وازالة ملكه بالدسائس التى وضعها عبد الله بن سبا اليهودى وجماعات المجوس السرية التى بنت فى المسلمين دعوة الغلو فى التشيع لآل البيت والطنن فى أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتزويج دعائم ملكهم بالشقاق الداخلى لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم للذين أزالهما العرب بالاسلام ولولا هذا الاضلال (التأويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبدع فى هذه الطائفة لأن أصل طريقها تركية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيميه : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولاً ورداً بعد بيان

ان الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب التصوف قسما :

١ — ما أخذ الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صنعها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط فتري مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب في بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووي : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالي لم يتوسع في علم السنة الا في آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهي : دعاء النوضوء اذ لا أصل له .

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في علم فجاء فيه بما لم يجيء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تركية النفس وإصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والتمسك والخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من في هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتباً أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلصق به الصائفا
بشبهات وتأويلات باطلة . أحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلمها
من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تسأل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة
وقال : جوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال
وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول
العقائد التي تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وأثباتها
بالدلالة النظرية الفنية التي كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات
المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان
طريقة التربية والتأديب بالأداب المنصوصة فيهما والمستنبطة منيها .

ذكر ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين أمثلة كثيرة لما خالف فيه
المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا
لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه أصلا
للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التي أولاهما السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقهما لمقاومة التحديات الخارجة الخطيرة التي تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرهما وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شديد الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت فى سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحدا من المسلمين أو أظن أنه أشد منى رغبة وحرصا على ذلك ، وقد ظهر لى باختياري الطويل أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء اذ يعتقدون أنه يناهى منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقد تكلمت فى هذا مع كثيرين فى مصر وسورية والهند والعراق ، وما علمته بالخبر والخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا فى هذا العهد لهأليف الكتب والرسائل فى الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ونشروا الاسلام فى الأقطار والطعن على حفاظ السنة وأئمتها وفى الأمة العربية بجمليتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العالمى فى موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران فى الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يمينا مغلفة أنه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة فى الأرض .

ويدعو السيد رشيد رضا الى جواز الحوار مع الشيعة الامامية لانهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائية المارقين وقاعدة المنار الذهبية هي أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون في :

١ - مسألة الامامة وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليا .

٢ - في المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ - في عصمة الأئمة الاثنى عشر .

٤ - في مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبي الاتفاق أن يقتنعوا بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمل بمقتضاها . اننا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام ولا سيما أبى بكر وعمر وفي أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الامام أحمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبي وابن حجر وغيرهم فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من القلو في مناقب آل البيت وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة اثباته بالنقل الصحيح ، انما النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرعون من على كرم الله وجهه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ - وفي موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشد النقم والدواهي التي أصيب بها الاسلام فهم مبتدعو أكثر انبذع الفاسدة وهم الذين صدعوا وحدته وأضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتقصوا كماله وجعلوا توحيده وثنية وأخوته عداوة وبغضاء

وبثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل أنسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وأرادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التي ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والأرناؤوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وإبطال جميع النظم الاجماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من أجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهما وهى هدم تعاليم الاسلام والتقصى من أحكامه وسلطاناه .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفطع الكوارث التي هدت قوى الاسلام وضعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التي كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين أنهم أشد عداوة لهم وقتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى أهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب الى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة في البلاد الإيرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين نهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة في بلاد ايران أضعف من المجوسية وقد ثبت شعبة ايران مذهبهم في عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل أهل السنة في القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمى الهند الى ذلك فحملتهم الفيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقلمها

يفارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم أهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

أما الوهابية فقد شرعوا في احياء الاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة .

ويقول وقد أصبح من الضروري اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للإصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفككة ، ونكافح بدع ادعاء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والدروز والنصيرية والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفي بحث مستفيض عن الفكر الشيعي والرد عليه (م ٢٩ / ٤٢٦) وهو في هذا البحث يتناول معظم القضايا التي اثارها الشيعة انغالية ومنها :

١ — مسألة نكاح المتعة .

٢ — وطعنهم في القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية — اى ولاية على — ويزعمون ان هناك نسخة اخرى خصه النبي بها .

٣ — عصمة الائمة ولا عصمة عند السنة لأحد من البشر الا للأنبياء وهم يعصمون أئمة أهل البيت .

٤ — مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة المنار الى الاستقلال في فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقي هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هي أهل السنة والجماعة في مقابلة أهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين ارسله لمحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فإن القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بغير المراد منه ، أما السنة بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفي رسائل أنسنة والشيعة (م ٦٧١/٢٩) يقول :

كان مبتدع أصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ أظهر الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تفريق هذه الأمة وافساد دينها ودنياها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهودى بدعة وأعانها عليها آخرون من أهل ملته .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت أقوى الأسباب فى العداوة السياسة بين كبراء الصحابة بما كان يسمى بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول بالوحيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين . احفظ قلوبهم ما قام به الخليفتين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية وليس لدى العجز من الثأر بالقوة الحربية الا المكاييد السرية فتولى مهرة من رجال الفرس أمرها ، غمهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمع لكتمهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى للافساد السياسى بتحويل الخلافة الى العلويين ، ثم صاروا يكيدون للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ، وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ويمتد ، على كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوء عنه فى رحلته وفى كتابه (العواصم من القواصم) ويليهِ حكم المؤرخ ابن خلدون فقد أشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيتهم وبدعة تحريف القرآن والقصص منهم بغريبتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدي

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون ان عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم ابواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شىء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بالوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عن الاسماعيليه وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون ان عليا أحق بالخلافة ولكن لم يقتل أحد من هؤلاء بطلان خلافة الثلاثة ، فأهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الامام الحق أمير المؤمنين وانه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بأنه كان مجتهدا خطأ في اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) أطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد أمر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى أهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قرييون من الزيدية ومنهم علاة قرييون من الباطنية وهم الذين لغحوا ببعض تعاليمهم اللاحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلتقون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى اصوليين واخباريين . والاستعداد فى الامامية للغلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراحت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بالوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المصنوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى البس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

وأشار الى انه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى في ايران
نوهنا بعمله في المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك
المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هي حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة
السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء
السنن وهدم مباني البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ،
والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ، وأشار الى
سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد في ايران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

في نطاق العمل من أجل توسيد خطط حركة الإصلاح عند جد تصحيح المفاهيم في مجال تفسير القرآن أو إحياء مفهوم أهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضي النار الى الغاية في مواجهة الأخطار والتحديات في مختلف مجالاتها في مختلف ميادينها .

وقد ركز في هذا الباب على الاستشراق ودعاة التغريب من أتباعه في البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفي مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الاحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٢٧/٣٨٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين افراد هدامون غير بنائين يدعوى الأمة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال في الرقص والسباحة والخلو والسياسة ومعاقرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها في الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يفرون انشباب بالاحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حقدا وحسبكم من سفه الراى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هي التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الاحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الادب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها تعابير قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ اثنية

ورومية وغيرها من عواصم الشعوب القديمة وهى التى أضعفت دولها
وذهبت باستقلالها :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدمرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنة من الملاحدة
في هذا البلد العظيم ، ليس لأحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وانما كل
ما اوتوا أو حملوا من البضاعة في هذا السوق ثرثرة في الكلام وسفسطة
في الجدل وجراة على تلبيس الحق بالباطل وسفاهة في الطعن على من يخالفهم
أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له
عندهم وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراءهم جهودهم حتى
في هدم جميع أركان الحرية : هذا الذى يسيطرونه من غلو بلاحدة الترك
ليس تجديد منهم بل نجم في الجيل الماضى منهم ، وكان من تراثه في هذا
الجيل زوال السلطة العثمانية التى كانت أعظم سلطة في أوربا وآسيا
وأفريقية وهم يريدون أن يعتدى بها في الحادها ونبذ هداية الدين ،
وهم يقلدون ملاحدة أوربا في عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى
هو الذى يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك في عقائده والطعن في أحكامه
وآدابه والتحقير لرجاله . ودعوى ابطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه
بأنهم عقبة كؤود في طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى
في الجامعة المصرية عن حقوق المرأة وما تحدث به فخرى فرج ميخائيل
في الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى في الطلاق
والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الالحاد لم تقنع بصد
الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيدا لإباحة
الأعراض وعبادة الشهوات وتقليد الأفرنج مما يسهل التقليد في مجال
الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقيق آداب اللغة العربية ليجردوا
الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها
استقلالها خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة
بهدم الدين هدمًا مطلقًا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

لاستبدال التشريع الأوربي به ، ثم أسرفوا في تحقير آداب اللغة برغم
تحديدتها بآداب لغات سادتهم الأفرنج .

وقد ألف طه حسين كتابا كذب فيه نقله اللغة العربية ورواتها
فيما رووه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين وضعوا
المعلقات السبع وأمدوها على امرئ القيس وطرفه وغيره واستطرد الى
تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله في اسناد بناء بيته الحزيم الى ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام وفي غير ذلك ، وجعل ذلك من الأساطير التي
لا يثبتها العلم ، ولم يقل أحد أن وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم
نفى العلم لما رواه الرواة عنها ، فخير بقاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
لبيت الله تعالى تناقلته الأمم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عمليه ،
ثم أثبتته الوحي الالهي الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمي يعارضه
في معنى قوله أن العلم لا يثبت .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة في هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها
ووصفها بالقديمية وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه
ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمها الحقيقية في ذاتها وفائدتها ، لا في قدمها
ولا في جديتها ، وما من قديم الا وكان جديدا ولا جديدا الا وسيكون قديما ،
ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وانما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب
اننا نراهم يدعون الى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالادب
الاغريقي والشعر الاغريقي الذي هو دون الادب والشعر للعربي الجاهلي
والاسلامى » (م ٢٧ / ٣٨٧) .

٣ - ويتحدث عن دعاة التفريب هؤلاء فيقول : انها حجتهم على عامة
المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذلهم للأمراء والحاكمين وذمهم
للعصبية الدين وان لهؤلاء الملاحدة لقوة على فسرهم لا من انفسهم ولكنهم
يعتزون بها وان منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها ، وان المؤمنين
لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فلذا تذف
عليه ديمعه وان بقاء الباطل لالى زوال : « وما كيد الكافرين الا في ضلال » .

ويقول : ولقد كان ملاحدة تطرنا هذا اجين ملاحدة المسلمين واخوفهم
من اظهار الكفر على كونهم اجراهم على الجهر بالفسق ثم تجرأ أفراد منهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين واحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسائس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للتقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لأنصاراً في القصور والدواوين وفي المدارس وأكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحليلين من الشبان والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفي أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر الذين ينوهون بكفر الترك الكماليين ويبثون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذي يمهدها كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكي كفرهم وضلالهم (م ٢٩/٢٢٧) . ويقول : يود ملاحدة الكماليين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يبثون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويبثون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريعهم وآدابه ولبس قلانس الافرنج واثارة الفيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركي الذي صار عريقاً في الاسلام ، بل هم اوشاب منهم الروسي والرومي والبلقاني واليهودي الاصيل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يهتدون هؤلاء الكماليين أشد مما كانوا يهتدون اخوانهم الاتحاديين » (م ٢٧/٧١) .

٥ — ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المتفرنجين من دعوة الإصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الفرنجية ، التى حبب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلفتوا ما لامتهم من ذلك وتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقربا اليهم ، وقد قضى هذا التفرنج فى المسلمين بالمدارس الفرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى أنشئت لتقليد الفرنج فى تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان النظم بمقومات الأمة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الأمة الاسلامية فى هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الفرنج يصعدون فى مراقي العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله فى خلق الانسان والاكوان .

وهناك فرق بين المتفرنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون الى الاعتبار بما أوتى الفرنج من العلوم والفنون ، وما اتقنوا من الأعمال والبحث فى أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه امتهم منه . ومن المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بأرائهم ، وان استمدوا أصوله وغروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات إمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى اماكن الجمع بينه وبين نبد أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التى ترد عليها فى هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ — ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون فقههم من شئون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على اصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون في هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرجين المارقين من الذين يحاربون اصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق في أهله ، ويشذوذ الغلاة في وجهة بعضهم في انكار ما عليه الأمة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرجين من يدعو المسلمين الى هدم اصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين بعضها حكام كل قطر بآرائهم وان استمدوا اصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى الخالفين للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التي هي أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الإصلاح (م ٢٠ / ١٩١٧) .

٧ — ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع في موضع آخر فينحدث عن دورهم في الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهي دعوة جمهور الأمة الى التعميل والاحاد وما يترتب عليهما من الزندقة واباحة الأعراض والاصول وانتهاك حرمت الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التي تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى في شيء من اقتراف هذه المفايد الا القاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الانسداد كله ان كل ما كانت به الأمة امة في الماضي قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوربية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التي تهب عليهم مما ينشر في الصحف الضارة من المصنفات المفسدة . وقلما توجد في البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور في عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها في التصريح والتمريض أو التفرنج وأشدّها جريدة « السياسة » التي يكفلها الحزب الحر الدستوري ومعها في ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاركة لها في أشهر محورها التي تدعى أنها لسان حال الشبان المصريين
ففى كل جزء من أجزائها عدة مقالات لخدمة تجديد الاتحاد والزندقة والاباحة
المطلقة. ولما تنشر لغيرهم شيئاً يخالفه ، وحسبك أن (سلامة موسى)
هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات ،
فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتاباً فى تأييد هذه الدعاية الهادمة للأمة
المصرية ولكل أمة شرقية تعتر بفلسفة المادية الانسانية .

وقد زاد هذا الرجل على أخوانه بأنه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية
والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انها تنشر مجلات اسبوعية مضمونة
(اى دار الهلال) تجرى قراءها على نبد كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت
عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى أشد جراً على هدم الدين والجهر
بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية العصرية ظهر غرور صاحبها
فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفة الدين أيضاً ، كما يترجمون بعض
الكتب والصحف الفرنجية ويأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد مجلة
العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتتت أثر هذه الصحف مجلة جديدة
أنشئت فى حلب فأنكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام
لان أكثرهم لا يزال غافلاً عما تغنيه بالجديد والحديث والاستفتاء عن القديم
وان المراد ترك الاسلام من أساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى)
ولولا جمود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى فى بلاد الاسلام
منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم
يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث
والجدل فانتقلت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئك
لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويرى
السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة فى هدم الاسلام من حيث
لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتعلمين على الطريقة العصرية الاستغلائية
عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكماء الدين الراسخين
أن ينشروا حقيقته التى لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وان يدهضوا
شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التى لا يمكن اقتناعهم
او إلزامهم بالحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انتظموا
فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعليها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلوني : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لأن فهما كذلك يولد الايمان بهما ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخير والشر وبين النور والظلمة .
(م ١١٧/٢٩) .

- ٢ -

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمها (فرح انطون) صاحب مجلة الجامعة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بدأها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلانينى وتناول جانباً من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاسلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم أحمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من أحسن الأوربيين رأياً فى الاسلام وأحسنهم دفاعاً عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحماً وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأَمْضاء رمزى وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضا انها من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد فى اقامة الحجة على أن هذا النجاح موقوف على هذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هذا تحت عنوان « الدين والدولة ، والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفي مقدمتها كتاب مرجليوت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال في مقدمته : انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة في قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوت أن السبب في اكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجريء ، وبيان اسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة « وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربي دون سواه ، وقوله : ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتناقى مع ما زعمه في غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى أنه ما استفاده من الناس وحى من الله » وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوت في حقيقته حاقد على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك في مغالطاته وشبهاته ، كذلك اثار الى أخطاء لامنس في دعواه عن عرب الأندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الأندلس الا القليل من العنصر العربي الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثريتهم من البربر والأمريقيين ، يقول : يريد لامنس الشيعوى انكار حقيقة العرب ومدنيتهم الأندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم أهليتهم للتدين والثقيف والسبق في ميدان الحضارة التي تأتي بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

وأشار الى المستشرق فامبرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان أستاذا خصوصيا للسلطان عبد الحميد وأقام في قصر النجم (يلز) زمنا طويلا وكان يطرى سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رايه وكتب مقالات في مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخلع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

في نقد عادات الأتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أفتح طعن ونسب إلى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكشف عن ما أسماه رياء هذا المستشرق وخداعه الرأي العام وطعنه في النهضة الآسيوية والحركة الإسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر وبثمر » (م ١٦ / ٦٢٧) .

وفي السنوات الأخيرة للرنار اتسع نطاق البحث في كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب أرسلان في المنار (م ٢٣ / ٤٣٥) فصلا ضافيا أشار فيه إلى هدف المستشرقين الأساسى حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة في هذا السبيل الا لأجل أن يتعقبوا عورات الاسلام ومثالبه ويخوضوا في أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليحسموها ويعرضونها لأنظار الأوربيين بالشكل المستتبع الذى تنفر منه طباعهم وتثور حفاظتهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للاسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشرقتها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شيء تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة فالاسلام بزعمها هو شر محض فينبغى أن تنقذ الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جعلتها لامانس الشيوعى البلجيكى ومارتن هاريمان الألمانية ومرجليوت الانجليزى وفنسلف الذى ذكر عنه الدكتور حسين الهرأوى أنه طعن في الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوروبية والثقافة المسيحية وأن ييثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالاسلام واهله ، هؤلاء يلتزمون في مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الاسلام باسم العلم بزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات في الأحايين وأن ينجأهوا

ما عندهم من الطاقات الكبرى التي لا تقاس اليها معايب الاسلام في كثير ولا قليل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقد نشأنا من الصغر على بغض الاسلام ، وربانا آباؤنا ومعلمونا على مبادئ من العداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها » (م ٤٣٥/٢٣) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهلالى مقالا عن اخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٥٣٥/٣٤) قال : ان لهم اخطاء ولهم خطيئات ايضا ، اما اخطاءهم فممنشؤها القصور فأكثر المستشرقين صحفيون في العلوم الشرقية (الصحفى من يأخذ العلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثلا حول جورج ساييل أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث في الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمة رسائل أبى العلاء مشحونة بالاطعاء ، أما الخطيئات فتركبها ثلاثة آخر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسون المتعصبون كجورج ساييل ومرجليوت وزويمير ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفمون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة وإعجاب القراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يقرعون عن الشرق والشرقيين ، وهناك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعمد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجيبون ، وكوتى .

ويواجه السيد رشيد رضا اخطاء كرومر في كتابه (مصر الحديثة) فيقول : انه فضل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيه من المرونة التي تساعد على مجارة المدنية مما لا يساغد الاسلام أهله على زعمه رفع نفسه الى مستوى الحكم فى الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليه

ومن الحيثية الأولى عليه لاله ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من اسنة أقدامهم في وقت مفارقتة لديارهم ، فهو يريد أن يستل من نفوس احرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر في يوم من الأيام ويقنعهم ويقنع أوربا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز في مصر ، لأن المصرى شديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويبفون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربي وللمسيحي ولو غير أوربي .

ويرى أن تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انجلترا وما اظهره من الميل الى اعدائهم للاستقلال هو من التمويه وذر الرماد في العيون والهاء المصريين بالامانى والاحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح أنطون عن الاسلام التى أوردها في دراسته عن ابن رشد فيقول : انه الخطأ اعتماد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان او من الكتب الغربية ، فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادئ علوم المدارس في مدرسة كتبتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالى وابن رشد يقولان بخلاف ذلك اى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاشى الله .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في محاضراته التى القاها في احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن في العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر في المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئاً الا بعض كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه اخطأ في تصوير العقائد المنسوبة الى الاسلام وأنه فضل البربر على العرب في العلم والمدنية بدعوى أن اصلهم من برابرة الشمال الاوربيين لا من همج البساميين ، وقال : ان ثناء رينان على جمال الدين وقومه الأفغان يرجع انى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التي تستعصى علي عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود غزى فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٢٣/٤٣٥) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشخصية يسمح للمسيحي بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المترنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسلام » وساعت ملاحدة المترنجين المقلدين لأعداء الأديان من الافرنج في الدعوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الإصلاح لمصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رايه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون في جريدة الأهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٢٣/٤٣٥ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المترنجين والافرنج لابطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى فى القرآن انما ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفسة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسلام واصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رايه ولحكم هيئة العلماء عليه وقال انه جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهاد انبى كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلأغ الدعوة الى العالمين

وان نظام الملك في عصر النبي كان موضع غموض وابهام واضطراب وكان موجبا للحيرة وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعة مجردا عن الحكم والتنفيذ وأنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا وانكار ان القضاء وظيفية شرعية وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية » .

وهاجم سلامة موسى في مطالع حياته وفي أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال أننا رأينا المؤلف يتحمس لأراء نيتشي وبليك وشوبنهاور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التي روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والأدبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب أن يكونوا متسلطين جبابرة اقوياء بدل أن يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم ولا يمنع أن يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال داب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين أنفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز الفث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمد حسين هيكل له ، وقال ان درمنخيم من اقرب المستشرقين الى الصحة في الرواية لانه اعتمد على المصادر الاسلامية واوسعها عنده سيرة ابن هشام واجدرهم بحسن النية فيما اخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتصوير فضائله وأشار الى خطأ درمنخيم في القول بالوحي النفسى للنبي صلى الله عليه وسلم « ويعنون به انه تابع من نفس النبي وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه في هذا العهد بالمقل الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

ويقول ان ما نقله هيكل عن درمنجيم من الكلام عن بدء الوحي المحمدي ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التي يمكن الاحتجاج بها على ان هذا الوحي « نفسى » .

وقال انه رد عليه في كتابه (الوحي المحمدي) واثبت ان وحي القرآن من عالم الغيب بما بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة ان يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع أو يقع مثله لأحد من البشر في سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحي) عجبت لؤلؤه كيف أقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها في كتاب الوحي المحمدي وقد اطلع عليه وذكره في الكتب التي استمد من مباحثها في وضعه فان أدري أغفل عن تفنيدي لشبهاتها العشر واثبات الوحي الالهي بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ، ؟ فهذه المسألة انكر المنكرات في أصل الكتاب ولم يظن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهي كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران في نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويبه للحقائق القطعية والاغراق في الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات في قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن أئمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة أو جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو انه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتاولنا وقتلنا لعله أراد ان القرآن هو المعجزة العظمى التي تتضاءل في جنبها سائر المعجزات ولكن قد علل الانكار المذكور بأن تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شيء منا مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة أن يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : « ولئن تجدد لسنة الله تبديلا » فهذا نص لا يحتمل تأويلا في أنه لا يدين بشي من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شيء منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعري ماذا يصنع بالآي القرآنية والعلامة من المسلمين . وقال انه هناك أمر واحد أساسي لجميع أخطائه المتضمنة لمعجزات الانبياء من نحو انقلاب العصا حية وخلق البحر لموسى

وابراء الاكه والابرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

- ١ — قصة ابراهيم والكعبة .
- ٢ — اسطورة شق الصدر .
- ٣ — بدء الوحي .
- ٤ — ما نسبته الى السيدة خديجة .
- ٥ — ما قال في الاسراء .
- ٦ — ما عقب به على معجزة الفار .
- ٧ — تلبسه في قصة سراقه .
- ٨ — دعواه بان النبي صلى الله عليه وسلم اقر المنكر .
- ٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان اكبر خطأ رأيته تبعا لأصله الفرنسي من شبهات الوحي النفسى يخفى على أكثر قرائه ان على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه من قبل قراءته . فان درمنج نفسه ينقل رواية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لملك الوحي والتلقى عنه .

والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان اخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه في رواياتهما الباطلة لقلّة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والمرجوح فيها وأن ابن هشام وأستاذه ابن اسحق اخذا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأن قوله انها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم « .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٨٦/٣٤) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لأن هذه قلما تخدع أحدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فانه يخدع أكثر القارئين له فيه ولعل فيهم من يعلم أن مؤلفى هذه الدائرة ممن يتربصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب أرسلان قد علق على هذه الدائرة فأشار في (م ٤٣٩/٣٣) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخطبات علمية في مباحثها التي تولاها بعض الفئة الاولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الاغلاط ، وتستدرك أيضا على فوات المتن ، والألا يكون قد ادخلنا في عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلي . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفقهاء طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين يهدم معادل الاسلام وخصومه بعد أن عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الضريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد أن عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجماته الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم ذلك بأن هؤلاء الملقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئاً من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافك قد فاق اتقانهم لغيره مما اتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها انها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التي تقدمها النسخة العربية غير كافية في موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها في مناسبتين الاولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من صباه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هي القرآن وانما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المتصوود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو اساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست ديناً الا من حيث انها مبنية لم ، فالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارح والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند. والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون ماجورا بالعقل بما يفهمه من القرآن وان اخطأ في فهمه اذا بذل جهده في الاهتداء بما انزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتحدد أسرارها ما لم تظهر لمن قبله تصديقا لمعوم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الغزالي ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن في تركيا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦ / ٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) وما قاله ان ملاحظة الترك ودعاة العصبية الجنسية فيهم قد بثوا في قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على من السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا يهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالناية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالناية هي هذه المفسدة واذا وقعت فان الاعاجم من المسلمين يكونون عرضة لشرك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفتريات طه حسين وتابعه متابعه متصلة منذ صدور كتابه « في الشعر الجاهلى » وما تبعه من أفكار شعووية وتفريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، ويصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نشء جديد لا هم لهم فى الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة فى اللباس والاثاث والرياش والتنافس فى خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتلق للرؤساء المسيطرين من الانجليز .
واهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعارف منهم الا وهو القسيس مستر دنلوب أن يطمس كل اثر كان للدين الاسلامى فى المدارس الامرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب بنشر الالحاد والاباحة بأن ينفثا سمومهما فى افساد الأخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لآى سيطرة اجنبية أن تتمكن من الازهان وتغلغل فى اعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الاقطار ولاسيما العربية ،
وقد نجح دنلوب فى سياسته اتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، وكان أن طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصده ، حتى جاء الاستقلال المقيّد وصار أمر التعليم فى ايدى الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان فى عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والالحاد الذى يقترب بالامة فى فوضى الاخلاق والفساد . وأعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة فى اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والادبى الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب أن جعل الأستاذ أحمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد أحمد القاضى الاهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين أن الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين فى الامة بتربية بنينا وبناتها على الالحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتفديته بمبادئ الالحاد فى نفسه وتجربته على بنينا بعلمه أولا وفى دروسه

في الجامعة أخيرا فان الثانى قد ابتدع في وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهلك والخلاعة وتصوير الشببات والشوواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضائل أمام ذلك الافساد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيعى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى في صناعة التصوير وهو هو الذى كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ في المدارس على التصدى لتحبيب امرأته وافسادها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبى والاستمالة فحكم القاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الأستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وأن القانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجية وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على القاء هذا الشعب المتدين في فوضى الاباحية المطلقة وقذفه في نهور الإلحاد والزندقة . وقد أبطل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة مفتشا للغة العربية في الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبيت فيها الإلحاد فكان لاخرجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا في مسألة طه حسين واستنكار بقائه في وزارة المعارف واستقال أستاذه ومرييه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبغيه عوجا وقتل بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبالي في سبيل الشهرة بالالحاد والاباحية ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدموة في الجامعة المصرية ليهدموا بمحاول المتخرجين بها كل ما بقى للإسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية.

مهم أرادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية في مصر وكان أظهر الأسباب لعناية أولئك الملاحدة بيبث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يظلم عليه الدين .

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن في القرآن الكريم » الذي فصل الرد على شبهات طه حسين . فقال السيد رشيد رضا : « حذق في صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وخلاصة وألف كتابا وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الالحاد وفي بعض آخر مخدرات الإباحة والاغراء بالشهوات فنهد للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الفجرة على الدين بإخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتا جهوريا في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التي القاهها في دروسه كانت بمعد تلك الكلمة التي كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه في الشعر الجاهلي . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن في الإسلام مقيدة باعتبارين : ديني وسياسي ذلك أنهم راوا ان الإسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق وكاد يقلبها في الغرب أيضا بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروة كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم وسلبه لمسلكتهم وتغريبه لشعوبهم إلى محاربتهم بالامتراء عليه والطمع فيه ، وقتال أهله بالسلاح ثم بالسياسة فاحكموا نظام الحريين بمعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الإسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو في الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتمم لصلاحها والمبرء لنبيها من طعن المفترين وشطط المغالين .

وقوم آخرون راوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر وأصلاح شئونهم ما يلجئهم إلى الإيمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظمونها به إلى سبط السنن الكونية فتكفوا التأويل لها لا بطلال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه أسباب طعن الأفرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصاري والملاحدة (م ١٩٣/٣٣) .

وعرض السيد رشيد رضا لآراء الدكتور طه حسين في مسألة الحروف المفردة في أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الأدب كما فعل طه حسين وقد فند الأستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشية ما سبقه إليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا في حكم افتتاح هذه السور (السم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف انتهى يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقي اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام وأثبتات الوحي والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وال عمران) وقد علمت أن الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا بأخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي لمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ولا علم هدايته وتتريمه الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه أن يرجع إليهما فيما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب المعصرى في النقد الذي عرفنا بحسنه في جملته فهو قديم أيضا وأول واضح لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام في رده على هانوتو وجرى عليه في مقالات الاسلام والنصرانية في العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الأدب اللغوي والتاريخي فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف مردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا عن أخطاء جرجي زيدان في رواياته وفي أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندري من تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعماني من تاريخ التمدن الاسلامي ، أما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلما صدرت حلقة منها .

فيقول في نقده لروايتي فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٣٩١/٦) :

يحتج هؤلاء بأن في هذا القصص أغلاطا تاريخية حتى في الأمور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو اغراب فقد كان يدعى سعد بن أبي وقاص وإن كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه إلى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله أن أبا سفيان حيا هرقل بقوله : أبيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله أن يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية .

ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فانه نقلها من الأغاني فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر في اعتماده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير في أهم شيء في موضوع قصته . كما ذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلًا عن الواقدي وهي أن لفظ محمد في السطر الأول ولفظ رسول في السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبي سفيان مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وإنما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفها مع بعض آرائه وأسندها إلى أبي سفيان لأنهم يحبون ذلك في القصص لأن العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وإن سمى أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعروف في الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التي حكاهما المؤلف عن أبي سفيان مسألة الغرائيق رآها في الطبري فنظمها في سلك الحكاية والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل ويحسبون هذا التساهل حينئذ حتما في الأمور الدينية وهو عند الله عظيم .

كما نقد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبيهاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارىء أن انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التي فتحوها بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رايت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهتين : احدهما أن من شأن القصص أن تكون فيها اخبار كاذبة فيشتبه على القارىء الحق بالباطل ، وثانيهما : استئثار نسبة العشق والفرام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تستد الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاستئثار بغرام .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاسلامى الذى ألفه جرجى زيدان (م ٥١٤/١٤٩/٧) وقد راجعه فى كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضع أرقام توهم القارىء أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بعضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة فى الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الفلظ لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخلاف فى القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرمها بظنه وقسرها برأيه حيث قال بمقد أن نوه بفطنة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جعلتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : انه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاسلام نهضة عربية ولذلك أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا قلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فأطلقه والصواب أن المسلمين فى صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا فى مقابلة المسلمين فيعتنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الإطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا اطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهدا منه لهذا بل عملا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك في مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بها ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصاري في العمل الصحفي فقد كان انشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الأهرام ، ومن أجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامى التى بعث بها السيد شبلى النعمانى واعتذر بأنه كان غائبا في الهند ابان نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد أن توفي جرجى زيدان كشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثمانى فرقة جديدة تقذفها فرقة هبريت احياء لمذهب الشعبى ذلك بنف - أى جرجى زيدان - زار الأسقانة ولقى فيها بعض زملاء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية مستنكرا مجازاة العرب لاختوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستنصوبا خطة الاتحاديين الأولى في تنريك العناصر وادغام العرب في الترك وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة مهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجى زيدان مطاعن في العرب واودعها في تاريخ التمدن الاسلامى فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامى ونشره بالتتابع .

كذلك فقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهاية وكشف في فصول متعددة على سنوات متصلة اخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف أن غلام أحمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ويكتاب في تفسير الفاتحة سماه اعجاز أحمدى وأكثره لفسو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرّن أتباعه على المناظرة والجدل وانصرفوا الى دعوة الأسر في الهند وانكثروا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفي فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية في مصر بعد أن كانت محصورة في الهند فصارت كالبهاية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمها في رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام أحمد القاديانى في الهند أنه المسيح المنتظر وأن الوحي نزل عليه بذلك وقد ردنا عليه في عصره . وضل كثير من المسلمين بدعوى البهاية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وإيران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعمون باستمرار الوحي والنبوة في أتباعه أى في زعيم القاديانية بعده ميزرا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وعاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فاشير في المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع في سوريا رسائل متعددة في الدعوة الى نحلته فأتخذ بها شاب دمشقى عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلقانا لننكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدعو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون في ذلك اجماع المسلمين فيما هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك عن الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين
وتحريم جهادهم ومن قوله أن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت
غربة الاسلام وضعفه وانتصر اهله على النصارى .

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالفا للبهائية فقد استكشفها في
مطالعها الأولى ١٨٩٩ وتحدث في السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم
ارتدوا عن الاسلام وأحدثوا لأنفسهم ديناً وضعياً مؤلفاً من أمشاج الوثنية
والمدينة وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك
كل أهل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرى ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل
دين ولاقتناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطلعون أحداً على
كتبهم الأساسية (م ٢٣٢/٦) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد أن كشف
عن البابية وزيف دعواها في مقالات متعددة متصلة في المجلد السابع
(٣٥٣/٣٤٤/٢٣٨) فقد أورد أقوالاً للباب التي يدعى أنها منزلة ليحكموا
حكماً صحيحاً . ولما كانت البابية هي باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف
البهائية والاعتقاد بربوبية والوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الأنبياء
والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية في إيران .

وأشار إلى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الأبواب لمؤلفه ميرزا محمد
مهدى خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا علي
محمد الشيرازي) إلى أن قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من
بعده من الفتن والتفرق والنفي ، إلى أن قام منهم حسن على الملقب بالبهاء
واستمال أكثرهم وفتح لهم دين الباب وادعى أنه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته في المجلد الثالث عشر فقال : ان
هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الأولى محو الاسلام وازالة
سلطانه من الأرض ، وضمها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم
وأزالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسي يرى أن الحكومة
يجب أن تكون (أرستقراطية) للأشراف من آل بيت النبي صلى الله عليه

وسلم فصاروا يبثون دعوتهم في هذا الحزب لحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وأبى بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وتعد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضاً وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى في البشر ، ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعناً في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لأن رئيسهم علياً كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم على أنه كان يمكن أن يثبت ذلك سرا في أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى متصدهم أيضاً فاضلوا كثيراً من الناس ولكن الاسلام ظل غالباً على أمره في الصوفية أيضاً الا من كان من انصار الباطنية .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذي تحدث عنه بتقدير كأنه مصلح عظيم .

وفي المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندى وسعيه الى نشر البهائية في أمريكا وكان سبب دخول الملايين في هذا الدين وقال انه أجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندى انهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى في أمريكا مثلاً الى نحلتهم قالوا لهم انا نصارى مثلهم نؤمن بألوهية المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسيح كما وعد في ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالكم باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا في بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لأحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون

فيها (أى الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من ألوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس أفندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على أن سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هى ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرا مما سمعناه من أتباعه فى القول بالوهمية والده ونسخ للشريعة الإسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فائنا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفى معرض الحديث أورد نصا للشهرستانى تحت عنوان الاسماعيلية فى دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامى وان أهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهوة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستندونهم به عن العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعمى لكل ما ينقلونه من أمامهم وقد هدم سقطتهم العلماء الاعلام كالغزالى فى كتابه القسطنطاس المستقيم وغيره .

وأشار السيد رشيد فى المجلد الخامس عشر (٢٢٣ / ٧٣١ / ٩٠١) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب فى صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كتبه بعد مجيء عباس أفندى زعيم البهائية الى القطر المصرى كشف فيها من زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨ / ٣٣ أشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس أفندى أوهى مؤسسيه وناشريه حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الأقدس) لانه اذا تناولته الأيدي يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين وأفكائهم بشغافتهم ودهاء عباس أفندى الذى كان يدعى انه من المسلمين المصلحين

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (أحمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين
هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة
لفظه فى الأحكام .

* * *

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق
ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى ألف كتابا جحد فيه معجزات الرسل
عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح
مخالفة الرسول بمحض رأى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة
المدركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا في نطاق دعوته الى الاصلاح وتحرير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد في الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الأديان التي بدأها تحت تأثير التحدي الخطير الذي وجهته كتابات المبشرين في الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكثيف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتموا الى الاسلام حديثا وكان لهم المام بهذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذي بدأت فيه أوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضها على المنهج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وأنها ليست بمنزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعد أن كشفت الكنيسة الكاثوليكية عن مخططاتها في التبشير والتبصير بين المسلمين على طول هذه المنطقة من جاوة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر على انجيل برنابا الذي كتبه أحد حوارى السيد المسيح والذي أنكرته الجامعات المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن السيد المسيح نبي مرسل وليس الها . كل هذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعه في جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بذكاء وحكمة شديدين ، ذلك أنه في نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك فى أوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشف أبحاث علماء اللاهوت على حقائق جديدة بالنسبة للكتب المقدسة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت فى نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيل كذلك فقد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التي أزرت الشيخ في دعوته ورجحت كفته .

تحدث المنار عن التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠) وأشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى أفريقيا وما يتصل بمهمة المبعوثين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو البلجيكية وأوغندا ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم توالى الأحداث فنشرت الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا أطلقت عليه « تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض علماء أوروبا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ ألفوا كتباً بينوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل . . وقد بين العلماء مصادر اليهودية والنصرانية وبينوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه الكتب ومأخذ أحكامها من ديانات الأولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت بعد من نسبت اليهم .

وأشار الى أن شريعة حورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة مأخوذة منها ، وقال انهم أرادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حاربوا به فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظاً وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملاً عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظاً اعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب نقلوها عنها وجعلوها هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ عن الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو مغرب عنها أو يشبه أن يكون معرباً ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى عن العرب لأنه ورد اسم « الله » واسم « الاله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وترغم أن له أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بإرادته تمام الاستقلال ولا يقدر أن يكرر خطيئة آدم مثلاً بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : أن الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب فهى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما افسدوا من دين الأنبياء واقامة الدين على أساس الاستقلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الأمي الاطلاع على جميع أديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واستخراج قواعد الاسلام واحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ — وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاسلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب ان نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما اُنشئ له المنار ، ولكن سنقتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسألة المخالفين لنا فى الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الأحقاد والاتفاق على ما فيه نجاج البلاد ونود الا يطعن أحد فى دين الآخر لا قولاً ولا عملاً ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعتدون بالجميعيات للطعن اللسانى فى الاسلام وينشر فى الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى واننا نصبر على هذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير أن يطالع الكتب الاسلامية التى يقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهر الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصارى .

٢ — ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب .

٣ — ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقعة والتى تثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التى يشهد لها القرآن هى كتاب شريعة واحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الاشوريين والكلدانيين وغيرهم فينتاى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيه . ما لا يلقى نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فيالتوراة .

حقّ وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام وأجبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمان طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال وأشميا ودانيال لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترب بسمة القدم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننا نرى من النصارى ^{١٧٩} ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندها تكون مجمعة ^{١٨٠}

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خيرا وان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة . والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالانجيل حيث قال : « ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ففسدوا حظا مما ذكرنا به » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحي لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤)

٣ - ولم يلبث السيد رشيد رضا ان كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوربا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوربا (م ٩٤/٦) فقال :

انس النصارى واليهود بما فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة ، بنقل التوراة والانجيل ، وكابروا انفسهم والناس بدعوى تواترها مع أن شرط التواتر ان ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواطؤهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذى لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوربا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو مجلا فى هذا للمكبرة والمأرأة . خطيب العلامة اللاهوتى الأثرى (بليش) خطبة

مطولة في برلين حضرها قيصر الألمان وقال في خطبته على رعوس الشهداء ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك انه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس في الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصراني بهذه القارعة في ذلك الملا العظيم فترزلت هي ولم ترززل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس أن رأوا غليوم الثانى الذى أقام أوربا وأتبعها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا أثريا بعد أن قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها أوربا في مقاومة الشرق ، ذلك انه رأى ان يخطو في هذا السبيل خطوة بعد خطوة وأن يختص بهذه الآراء رضائه اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (أى الامبراطور) لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى أن ليس في التوراة شئ من الوحي والنبوة عن يسوع أنه المسيح وقال : ان محمدا رسول الله الذى جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربهما لغيره ولن يلحقه بما يقارنها غيره فشريعته اعدل من شريعة التوراة ولا يمكن أن يوجد اكتشاف يظهر أنها مستقاة من شريعة أخرى والوحدة التى كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الاول .

٤ - وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر في الغرب من دراسات للاستفادة بها في دفاعه وفي تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى في أيدي الناس الى الوحي ، ومن ذلك ما ذكر من أن الكلمات التى مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه ان هذه الكتب اللفت بعد أن سبى البابليون بنى اسرائيل بآزمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبا أخطر من هذا وهو انه وجد في الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى أو ملكى صادق منقوشة على عمود حطم الصفا (الصوان) .
(م ٩١/٦)

وكان قد تناول هذا في المجلد الرابع وأضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (سلامة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح بفقدانها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة ملك منسا وآمون ، وقال الامر مستحيل أن ينفى نسخ موسى الأصلية في الوجود الى الآن ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما ضرب باختصر الهيكل .

ومن مجموع ما كتب في هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابى التى وجد أنها توافق التوراة في أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هى التى نقلها إبراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه إليها ، وأن موسى قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بنى اسرائيل وبذلك تكون الشريعة التى يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : أن هذه التوراة لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التى لقنها موسى عليه السلام قد فقدت ثم وجه عندهم غيرها والأخبار في ذلك معناه ، يستدلون على أن عزرا كتب التوراة بعد فقدتها لما أذن لهم ملك بابل ارتجشنا بالعودة الى بلادهم أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذى يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده بزمان طويل .

هـ - كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوى (م ٢٢٦/٦) وقال ان تولستوى ألف كتابا أرجع فيه الأنجيل الأربعة الى أنجيل واحد حذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت في بغداد (السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف) حول قضايا عديدة منها تقديس الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن أعمال المبشرين في السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعمدون في حمل الاهالى الى ارسال اولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والاقمشة ، ويعلم المبشرون في مدارسهم اصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ - في هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل في الاسلام قد بدأ ينشر في المنار جملة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين في نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصرانى وقضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم أخت هارون والسامرى ، وآزر ابو ابراهيم وجبل الجودى .

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها في كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الاولى للمسيح اناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها اربعة اناجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من انصار المسيح الذى يلتقيهم رجال الكنيسة بالرسول صبه بولس زمنا بل كان هو الذى عرف انتلايذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى اورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بان بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الانرنج الى ان انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية .

واشار السيد رشيد رضا الى ان تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا وأشار اليه في كتابه فقال انه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصددهم شئ عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس . . . »

وقد ظفروا بنسخة باللغة الإيطالية كانت قد سرقت من مكتبة
الفاتيكان (م ١٠/٣٨٥) .

٧ — ويتابع النار حملته في مجال ارساليات التبشير فينشر فصول
الكتاب الخطير الذي عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه في جريدة
المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الفارة على العالم الاسلامى) أو
فتح العالم الاسلامى ، يتحدث عن جهود جمعيات التبشير الكاثوليكية
والبروتستانتية في مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العالم
الاسلامى التى تصدرها في فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت
هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد
فارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء ايطاليا على طرابلس المغرب
ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها في التوسل بالعلم الى المقاصد
السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو شاتليه ويكتب فيها لويس
ماسنيون المستشرق الذى أقام في بغداد سنين عديدة وكان في مصر منذ
سنين وقد كان لنشر هذا الكتاب في المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال
(م ١٥) .

وفى مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت
عنوان بشارت عيسى ومحمد في العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن
اليهود والنسبى البابلى وافساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى
والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على الوهية المسيح في العهد
القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الاناجيل وبشارتها بنبينا وعن لفتها
ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات
المبشرين والمستشرقين في قولهم بأن القرآن ليس سوى مجموعة أقوال
مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونستون ،
يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به
فيخرجون من العبودية التى يريد لها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومنو
الفرنسى في الاسلام وتآليف كتابه الذى تتول مقدمته :

» وجدت في الاسلام دينا سمحا سهلا المأخذ بين العقيدة واضح
انبرهان مجردا من الغموض لا يفتقر اتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة
فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة ابحث عن الدين الحق
لاكون من شيعته (م ٢٣١/١٧) .

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشوء فكرة
الله) عن خلاصة كتاب لجرانت أشار اليه الكاتب الانجليزي فقال : شاب قبطى
الجنس مادى الاعتقاد يعنى باقتناع الناس بأن الاديان أوضاع مخترعة
ينبغى لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى وأصول الاشتراكية وهى
من آراء غلاة المادية من الافرنج أن يعمل الأقوياء باهلاك الضعفاء ومنهم
من الزواج وقد أثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية
بحثا ثم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ٢٢٣/١٧/٤٧٨) .

٩ - وعرض المنار لما أشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسل
والكربوكزاميين والتربنيين فى ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق
النصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من
تلاميذه يشبهه شبيها تاما ، وفى انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى
صلب هو يهوذا الاسخريوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم انه انتحر يوم
النصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر أنهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك أخفيت
تفاصيل قصته فى سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم
حسن اسلامه ، وأجرى عدیدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب
العهد الجديد كما نشر فى تفسير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث
(م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا فى الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب
من الطعن على السنة وصحتها والشريعة ومقاييسها فقد طعنت فى السنة
النبوية وزعمت أن طعننا يوجب الريب فى الشريعة وترك العمل بها وانها
لا قيمة لها فى نفسها (م ٩٧/١٩) .

٩ - واليك نموذج مما كان ينشره صمويل زويمر كبير المبشرين فى
البلاد العربية فى الصحف الامريكية من أكاذيب وإباطيل استدرارا لاهوال

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب في بلاد المسلمين وهي خدعة معروفة تقوم بها الرسائل المسيحية في كل مكان رخص .

قال : ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وإن دور الأولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي وقال ان اللورد رادستوك القى في جمعية الشبان المسيحيين عدة مؤاعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب التي كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعها لقبول الدعوة وقال أنه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء في مؤلف لأحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم في التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هى العثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام في ساحة الحرب فأصبح مخدوعا في مظاهره مضطربا في برامجه ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم أن الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قديما وان تلك الخطط التي كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودي يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرفع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاب الأبيض ابتداء يزول فالمتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الفرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لامنس ، كانياتى ، موير ، ملكوليوت) وغيرهم ثم ان خدائجى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية أكثر مما كان ينتقدها في خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث تعاليم المسيحية » يقول السيد رشيد رضا معلقا :

قد يرى المستشرقون في هذا الجهاد انتصارا لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله أن الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وإن أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوروبية أقبح جنسية (م ١٩٢١/٢٢ م) .

١٠ - وأشار المنار الى أن مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن في الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح فتقارروا أحيانا وراء ما يحتفل التأويل ، هذا وإن دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتفجير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطاعن من أشد ما يتفرغ من النصرانية ويزيد الفارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشار الى أن مسألة الوهية المسيح أصبحت في بلاد الانجليز موضوعا لأهم البحوثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكاني ، على ما نشرته جريدة الديلي تلغراف (م ٢٢٣/٢٦٧) .

وأشارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحدثين وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين) قال : في ألمانيا أرمنى اسمه الدكتور لسيوس ، قدم شهادة ضد الاسلام في رسائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالمشرق المسيحي ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الاولى من مجلة المشرق المسيحي سنة ١٩٠٠ التي تصدرها البعثة الدينية في ستة مراكز عمل في بلاد الدولة العثمانية واثنان في بلاد فارس واثنان في بلغاريا وفي مقال بعنوان (واجبات البعثة المجدية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامي وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وإن الدين المسيحي على ما ترى مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كاحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين في البلاد الاسلامية المستقلة ونوصي بالحذر دائما في

للولسائل لانتقاز من يؤتى بهم الى المسىحية واستخداام الجرائد والنشرات
للحملة على الاسلام والترغيب فى المسىحية (م ٧٨٥/٢٤) .

١١ - اأشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى
المقيم فى دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل
متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول :
هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه
أم الذى يبقى فى دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين فى مدارسهم الأمريكية وغيرها
يشككون الطلاب المسلمين فى دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون
منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع
السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور
عن مدارس المبشرين أنها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها
أحداث الشقاق فى الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف
الانكار والشك فى الاعتقاد فتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى
ذلك بتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب
ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسىحية دعوى متنوعة على
اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون فى هذه الأيام لاستتمالة
المفتونين بالمدينة الأوربية الى النصرانية بها ، فتوانين الغرب أبعد شرائع
الأهم عن شريعة التوراة الا فى القسوة على الضعفاء والمفلولين ، وآداب
أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدينة
الأهم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع
والرياء والاسراف فى الزينة والشهوات فأين هى من أصول آداب الانجيل
المبنية على التواضع والزهد . . أما العلوم والفنون وشكل الحكومات
المقتيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة فى بلاد الغرب بل كان
من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوروبا من الأندلس العربية
الاسلامية وما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر
الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعاضد بين أهلها ، وفقاً لما قرره اللورد سالسبورى وأن جميع أهل العلم والبصيرة من أهلنا في البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرّمهم نعمة الاخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم (م ٢٥ / ١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملماً ومتابعاً لكل ما يظهر في البلاد العربية الاسلامية فقد كان قادراً على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالشام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت الفه أحد نصارى لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ احاديث جعلها مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد اسبانيا لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٢٥ / ٧٠٩) كما أشار الى أن القس بولس مسعد ألقى عدة خطب ومحاضرات في مصر وسوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك في نسخة .. وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذي يدعو اليه وفند المنار كذب هذه الفرية (م ٢٥ / ٧٩٧) .

١٢ — وكان من أخطر ما أثر في هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريباً) ما أذيع عن مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب (م ٢٨ / ١٤٠) فقد ترجم المنشور الذي أذاعته جمعية تبشيرية في لندن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى عشر مليوناً ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيلس ، بلاد العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهاء مائتين وعشرين مليوناً من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى أولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الأمام الى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركليين » .
احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسسل
غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى
المسيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتبشير في العالم وبلاد العرب (لندن) »
وفي نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة،
يتحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) عن جريدة
الدبلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) . . حيث قالت ان القس انج ينكر
المعجزات : وان هذه قنبلة مصوبة الى قلب الكنيسة حيث قال القس
انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل في جوف الأرض ثم قام من قبره في اليوم
الثالث وصعد الى السماء بجسده ، ليس من اللائق بالكنيسة ان تفكر
في هذه المشكلة التى ظلت نحوا من اربعمئة سنة وهى ترغم الناس على
الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج في كتابه تحت اسم « العلم والدين والحقيقة » الى
قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد ان الكتاب المقدس ليس الا
كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ،
والقس انج يسلم بأنه موصى به اما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة
ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميا
فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة ان الأرض ما هى الا كوكب يدور
حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد
مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وانها كطبق
يحدده فطاؤه وقال القس انج : ليس أمام المسيحيين الا ان يعتبروا أن هذه
الأساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على انها رموز عن
حقائق أزلية ، وأن تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية
التي تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع
النتائج العلمية الصحيحة .

١٢ - ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية أن يدحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك ريفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وأنا أقرأ كتابات الارساليات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتعريض لكى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارئ الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : الا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاىى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديدة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانتته باسم عيسى الكريم أحد أنبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا أنهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم أسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتينية من الكاثوليكية أمها وقرر ابقائه كما هو بالرغم من ألوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوروبا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة من الدين وأن الحكومات الأوربية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة عن اختصاصها وقال ان الشرطين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد انحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمر كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلغى الأوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقدسين وبمريم العذراء (م ٢٩ / ٢٠١) .

كذلك اشرارت المنار الى دعوة الانجليز لاحياء ذكرى غردون في السودان بتنصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب بمبلغ ٦٠ ألف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيسة من اكبر الكنائس التى تنشئ في بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية : (م ٧٦٥/٢٩) .

وقد انشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا في العام الثالث والثلاثين بعد أن رفعت الرقابة في مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة نه فقال : ليس في مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما في المستعمرات الاوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر في المغرب ، ومسألة العلويين في سورية . ولا كمسألة التخسيس في افريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة في طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها في جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادى وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم في التعليم الالحادى اتم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلى ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المبائى والأراذنى وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجبرك) وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون اولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الاميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم في جنايته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها في أيدي هؤلاء الافرنج فصارت تطلب

بألزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : ان مدارس المبشرين أولى خطواته الاستعمار فان أول عملها احداث الشقاق فى الامة التى ينشر فيها اما الدين فلأنه لم يعد مما يراد فى مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين فى مدارسها كالشيء اللقواء (اللقواء بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان أمما من الامرنج يجعلونها من الفرائض القطعية التى لا هودة فيها يجمعون عليها كل من أبناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما فى هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا واقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الازهر لهذا المعهد والخرافات الدينية فاشية فى الامة من جهة ونزعات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين فى التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين فطرى فى انفس البشر فان لم توجد من يلقيه من النشء دين الفطرة المعتول قبلوا من يلقتهم أى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد فى مصر هيئة دينية حكومية ولا أهلية تتولى امر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها فى الامة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام فى طبقات الأهالى ولا سيما تعليم البنات وارشاد الامهات كالهيات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد فى السنين الاخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم فى مصر المصلحان العظيمان الافغانى ومحمد عبده فى القرن الماضى وكانت أول حادثة ان طفمة التبشير الأمريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم فى حى الأريكية فكبر ذلك على السيد معهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعوه فى مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستنابا الفتى واقتناه بان الاسلام هو دين الله وسعيا لتلاقي هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر فى خطر المدارس الأجنبية فى مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى الف فى مصر بسعيه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جعل جميع مدارس الأجانب فى القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتلال الإنجليزي اثر الثورة العربية مفقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية في يد تسييس انجليزي (مبشر) جعل سكرتيرا لها فمستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الاولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعليم الحكومي ولكن الدين الاسلامي لم يزد بذلك الا ضعفا في مدارس الحكومة والاوقاف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية في جميع المدارس الاجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطاني لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة ان امر اللورد كتشنر وزير الاوقاف بالغناء المستثنى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيري لانه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لاجلاق المنار لانه يتصدى بالرد على اراجيف التبشير النصراني وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون في الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لان الرد عليهم وتنديد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا ارى في البلاد مجلة او جريدة تقوم بها فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقي شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحا في الديانة المسيحية لا بيتانا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لاطعاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وتنمير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والاوراق الصغيرة التي ينشرونها في المستشفيات والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم ان يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام فسبعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالقضاء مجلة المنار وإبطال صدورها
ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقي .

وقد سألنا فقلنا : اننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين
وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا
انرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض
المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان
صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زوينر
يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه في بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد
يبيطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى في الأزهر واشتهرت
الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا في الرد على كتاب نقولا عبريل في الدعوة
الى النصرانية والطعن في الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها
من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى
التوراة التى تشهد لها القرآن الشريف وانها توراة القرآن هى الأحكام
التي جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الإصلاح من نتائج

- ١ -

توفي الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الإشارة الى حركة الإصلاح التي قام بها الأستاذ الإمام ولا عن متابعتها في جميع ميادينها وتنميتها ودفعها الى الأمام من خلال الأعلام تلاميذ الشيخ المفتي وكان منذ بدأ المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية في مصر » أو حزب الشيخ المفتي كما وصفها اللورد كرومر - يقول في المجلد الثاني من المنار :

كان مبدأ هذه النهضة في مصر رجل أعجمي الوطن علوى النسب وحبه الله من ذكاء العقل وذكاء الفطرة ما يندر منه في الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامي الشهير السيد جمال الدين الأفغاني نور الله مرقدته ، قرأ العلوم الاسلامية وأساليبها ومقاصدها وبرع في الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ثم نظر في الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا وأضاف الى علمه الواسع في التاريخ الاختيار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف أمراض المسلمين الاجتماعية التي أرجعهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيه المسلمين من غفلتهم وأرشادهم للقيام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلامية بالأمم العزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسة وحاول أن يكون الإصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك في مصر طريقه الإصلاح الملى وهو التربية والتعليم فانبرى له علماء السوء الذين وضعوا في طريقه الأشواك والمواثر وحاربوه بسلاح الدين في شبهات ثلاثة :

١ - انه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا في العلوم العقلية .

٢ - عدم التقيد بالعادات التي ألفوها ولونوا الكثير منها بلون ديني .

٣ - ان كثيرا من المترددين عليه والملتفتين حوله كانوا لا يباليون امر الدين .
ثم قال : ان امثـل من اتصل بالسيد من الذين تربوا في مهد الدين علما
وعملا العلامة الفضال الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وهو الرجل
المفرد الذى تشبه نظرته الذكية نظرة السيد جمال الدين وتمائل تربيته
تربيته ... الخ .

وفي خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنار الى تسجيل رحلاته
وخطواته (رحلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء
وتقارير اصلاح التعليم واصلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين
والحديث عن هجرته الى اوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين
ورحلته الى سوريا ودروسة ، والرد على فرح انطون وعمله فى انشاء
الجمعية الخيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيد الاديان وصلته
بالمستشرق بلنت وبكرومر . واشار الى ان كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥
الذى نشره المنار (م ١٠) قد اطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ
محمد عبده : حزب الاصلاح الاسلامى » كما ان المنار كشف فى هذه
السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبده فى كل امور السياسة والاجتماع
فكان للمنار موقف مع مصطفى كامل وكان له موقف مع اللواء
بشان العصية الجنسية ، ومعارضته للشيخ محمد بخيت ومعارضته
للمتصوفة واخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم
(سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطوعين الى الحكم
فى مصر) كما انه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (ابريل ١٩٠٧)
وكان فى تقرير لكرومر الاخير قبل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية
فحواه انها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى
ومصطفى الغلاينى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب
وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الامور
فى وقتها الا انه بعد خروج كرومر استفاض فى الكشف عن اخطائها
(المنار م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الامفائى وعبده »
ومنها كتابان سياسيان لها (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ
محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار في (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الإصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريب والجد في الكسب وعمران البلاد عن الطريق المشروع (الشريعة مع الاقتصاد في المعيشة) ومسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده ألقى درسا أو خطابا في تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما في ضميري مما اتفاه لأخواننا المسلمين من التقدم في العلم » .

وفي حياة الشيخ محمد عبده أخذ المنار في نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بداه في المجلد الثالث وكانت المنار قدمت فصلا مطولا في المجلد الأول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية في القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الإصلاح الاسلامي فهاجم البدع والضلالات والأحاديث الموضوعة عن التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذي أشار فيه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تثير أموالهم في صناديق التوفير من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء . وقال : ان الفئة التي ينتمى اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الإصلاح في الاسلام معروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها الشيخ الجليل السيد أحمد خان الشهير الذي أنشأ كلية عليكره في الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزغوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني فعلهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطمع الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقتصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، أما يريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة

الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتظمون المحافظون في كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وإن السبيل الذي أرشده اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملكهم إذا ساروا فيه فاتباع الشيخ محمد عبده حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين .

وقد أشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الأمور بعد أن أصدر كرومر كتابه « عباسى الثانى » قال : وآملت منه ما شفى عما كان منظوياً عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون وأظهر للناس أن من أصول سياستهم ظلم كل مسلم تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بإبعاده عن مناصب الحكم فى بلاده وحصر هذه المناصب فى المترجحين بالتربية الأوربية الذين ربما هم اللورد نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النفوت وبذهم بشر الألقاب حيث قال (١) : « من الواضح أن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوربيين لا يقوى على حكم مصر فى هذه الأيام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المترين تربية أوربية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

وأشار السيد رشيد رضا فى هذا المجال الى أن سعد زغلول (الذى رياه الاستعمار وكان أول وزير معارف مصرى فى عهد كرومر والذى مدحه كرومر فى خطاب الوداع) يقول رشيد رضا أن سعد زغلول هذا - وهو يراه من أكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده - قد اشتهر بالتساهل الدينى بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى أدخل تعليم الدين المسيحى فى مدارس الحكومة فى عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون أنه إذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا فى عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى فى البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الافرنجية

(١) أشار اللورد كرومر الى أن تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لأنه رجل مسلم وقال أن فشل تجربة رياض باشا لفقتنى درساً هو أنه لا فائدة فى محاولة قيادة الراى الاسلامى فى مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير احوالهم وشسهوراتهم الشخصية .

واشار رشيد رضا الى ان الشيخ محمد بخيت كان من اقوى انصار الاحتلال في عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم السلطة المحطة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضد اشراك الازهريين في الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا « ا . ه .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود في صيغة جماعة الدعوة والارشاد التي انشأها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود انيس ، أحمد زنتى ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودى ، محمد لبيب البتانونى ، محمد توفيق صدقى ، محمد المهدي واعلن ان مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافتا واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بأنه عرض مشروعه على المندوب البريطانى في مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع أولا عن طريق الدولة العثمانية في أول حكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه في اسلوب لم يكشفوا فيه عن خصومتهم للاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو أن الخلاف مع السيد رشيد متصل بجماعة السوريين الذين يصدرون الصحف (المقطم والأهرام والهلال) .

- ٢ -

ويمكن القول بأن حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة اهل السنة والجماعة واحيت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنار من المغرب الى جاوة وكونت أنصارا للفكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنار وارسال فتاويها واسئلتها والكشف

من تحديات القوى التغريبية والمضللة وانها صنعت المسلم الغيور على دينه
 انراغب في ان يكون الاسلام هو منهج حياة أمة ، المدافع عنه امام التيارات
 الوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبي ازاء حقيقة الاسلام
 من طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية)
 وانها وضعت في أيدينا جميع خيوط التحديات التي ما زلنا نواجهها حتى اليوم
 وبعده ان توقف المنار بأكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ)
 بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية في العصر الذي نعيش فيه
 وفي أوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تنفصل عن جذورها منذ عام
 ١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقود الثلاث .

٢ — كذلك فقد أحييت المنار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض
 الفكر الأصيل للإسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف
 الفلسفي وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد أثار السيد
 رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامي فأجملها في عدة
 نقاط :

- ١ — الاعتراف باسلام كل مدّعين كما أجمع عليه المسلمون في أمر الدين .
- ٢ — بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف
 الصالح منها كما أثبتته علماء الحديث بالاسانيد المعتبرة وترك ما خالفه
 من افكار المتكلمين وآراء الفقهاء .
- ٣ — عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعتبر كل متبع
 لآمام من أئمة السلف المجتهدين في حكم من الأحكام من أئمة آل البيت
 كزيد بن علي والصادق والباقر وأئمة فقهاء الأمصار كابن حنيفة ومالك
 والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين
 بالأولى ولا يكفر مسلما مدّعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة
 اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين
 في ذلك بالدليل الشرعي مع الأدب والاترار واتقاء الشقاق والتفرق
 بين المسلمين .

٤ — الاستعانة بإرشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الديني مع تحصيل
 العلوم والفنون التي ترتقى بها الزراعة والصناعة والتجارة .
 (م ٢٢) .

ويقول السيد رشيد رضا : ان المنار في جمعه وتفصيله دعوة الى
الاصلاح الاسلامى المبني على اساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور
الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة
ويثبت العلم والاختبار في أمور الدنيا .

ومن أهم أعمال المنار في هذه الوجهة احياء كتب ابن تيميه وابن القيم
والشوكاني والنقل منها والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء
الأعلام من افضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاسلام من حيث أنهم
جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطلاع على كتب
مذاهب علماء الأمصار الذين يقتلهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب
لامام معين ولا لأهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان أقوى فكتبهم
أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتسكون بأقوال أهله ،
وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الأدلة
مطلقا أو أدلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها
كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة ،
ولو خرج أحد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع
كتب المقلدين له لأنها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف
أو على قياس وهذا أصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار أصحابهم
أصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ما روى عنهم
وان خالف نصوص الشارع أصولهم التى بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبدأ
من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل
المذاهب بالأسانيد التى وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث
وشروحه وهى أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها
هو المقدم على كتب الفقه التى تكثر فيها أدلة الأقيسة والرأى التى اختلف
علماء السلف فى الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك
العلة التى يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب
هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تلميقا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه » .

وفي موضع آخر أشار الى مؤلفات ابن تيمية وابن القيم فقال : « اذها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها الفت بعد نشوء البدع في الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول . وكان أكثر العلماء مقصرون في علم السنة وآثار السلف الصالح وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون في العلوم العقلية فبعثت الهوة بين الفريقين وكثر الخلط والخطب في علوم الشرح حتى جاء أول هذين الشيخين (ابن تيمية) فكان من جمع الله لهم من سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير في هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما في العلوم الشرعية فكانت كتبها كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير في ذلك فلو اهتمدى المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن ولكنهما غير معصومين من الخطأ ، فقد أنكرنا عبارة للأول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجة الى الاستقلال في الاستدلال علما وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتى في تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ أحمد تقي الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما أن لأئمة الحديث كاحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضلا عليه فانه لم يكن يتحدث الا بكبتهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصح فهما للكتاب والسنة فيما اعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثياب زور غريب عن الدين ، فاتبعها خلق كثير من المسلمين منها ما جاء في شبهات الفلسفة ومنها ما جاء في تصوف الهنود ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الإسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتجتها ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامي والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمة يعرفون ذلك لانه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالأمة الاسلامية محتاجة الى شيء من علوم ابن تيمية لا تجسده في شيء مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذى هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

- ٣ -

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الإصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الامام في مجال التربية والتعليم واخراجه من الدائرة المقلقة التى كان يعيش فيها فقد سعى الشيخ محمد عبده الى اصلاح الأزهر وانهاضه ودعا الى اصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التى تدرس في مدرسة القضاء الشرعى في الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطراره الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجمود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمح فيما فوق ذلك ان يجعله عضوا رئيسيا في بنية الأمة الاسلامية لا في بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الإصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى اصلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجى الأزهر أساتذة للتعليم في مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منها ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردنية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التى لها ارتباط بالتعليم فى الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتأليف كتب فى العلوم التى تدرس فى الأزهر » .

وفى هذا المجال أشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ م (١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فاصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتقيه ويحذره الاستاذ الامام .

- ٤ -

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعي وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى فى دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبى المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم ان المبادئ المقررة فى الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها فى الأصول الاسلامية وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى لا يلبث ان يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن اسلافنا وصلوا الى الرفاهية فى تقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شاوا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وكيف تأليفها ، وما هى عليه من التعقيد قد أوصدت الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك أشير على من يسلك بهذا الطريق أن يقصد التأليف القديمة لأنها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتى لكتاب « الخراج للامام أبى يوسف - ١٨٢ هـ » عثرت فيه على درر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصاً المستغلون بالقوانين الفرنجية أن المتقدم لم يترك شيئاً للمتأخر ، ولعلمهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لأنها لا ينافيان العصر الحاضر وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وثالث : ان مجلة الأحكام العدلية التي ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها وإبطال به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الإسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوروبا التي يتزلف إليها باتتباع خطوات مدنيتهما .

كذلك فقد أشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعي المتعافي : الجنايات المتحدة في القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار الماثلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الإسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه فلا عذر إذا لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمد قانونها من كتب الأفرنج دون كتب الفقه الإسلامي وهي تجد كل ما يحتاج إليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين في كتب الشرع الديني الذي ينسب إليها دولتها وتدين الله به .

وفي هذا الصدد نشرت المنار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلوني عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الإسلامية وضرورة تطبيقها .

الكشف عن مفهوم الجامعة الإسلامية التي كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الإسلامية يعود الى إنشاء العروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحدة الصحيحة وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى إقامة البدع وإحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذهب كاهل السنة والشيعة الي الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي

في الدين من اسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لها اثر كبير فاهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنفر المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثني بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى في مجلس السيد سليمان افندي نقيب الاشراف فيتفق رأينا على انه لا بد ان يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل ان يصدر العدد الذي بعد هذا ، ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم انقلاب مهم ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجده آبائهم واجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن اقدامها قد استقرت في مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البلاد المصرية كما منعته هي من البلاد الهندية ، وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ثم انشأ نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصرية مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط همهم لتلافيها ، ولكن اخرج النديم من مصر لأن جريدته تنفخ روح التعصب الديني ، وفتر الكلام الذي يرمى الى « الجامعة الاسلامية » حتى انشأ المنار لاهياء تعاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها وأضأنا قمته بنبراسها الا ما كان فيها من السياسة التي تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز أن المنار وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها في وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث في جزئيات البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المتدعة . قال صاحب الأهرام : ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجع العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة في اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكتبت في صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق والغرب

وكتب الأهرام والمقطم عن الجامعة الإسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتب .
وانشأ اسماعيل عسبرنسكى فى بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان»
جعل جل مباحثها فى الشؤون الإسلامية وانشأ مدرستين لتربية
ابناء المسلمين .

وقال : ان الأهرام والمقطم متفقتان على أن الدعوة الإسلامية باسم
الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الإسلامية
الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب
المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الأخذ بالفنون والصنائع الأوروبية مفيد
واقترح عقد مؤتمر اسلامى فى دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم
وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق
بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الاقطار » كتب
فى المقطم يأسف لبناء الدين الإسلامى وزعم أن الدين والدولة أمران متباينان
يجب أن ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى أحكم رأى لحو
السلطة الإسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قائله . . . (المنار ١٨٩٩) ،

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الإسلامية مرة أخرى
يونية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب فى هذه
الحركة الإسلامية هى شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه
الجزئيات مقالات هاتوتو — والرسالة التى نشرها القسيسون فى مصر
وسموها : أيهما المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف
الأوربيين عن التعرض للدين الإسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام
عن الجامعة الإسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم
جميع ساسة أوربا وعلمائها ان المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا فى دينهم .
وان الذين تربوا فى مدارس الأوربيين حاولوا اقتناع المسلمين بأن نجاحهم
وسعادتهم فى الرابطة الوطنية وشقاءهم فى الرابطة الملية التى يطلقون عليها
عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفى فصل آخر عن « أوربا والاصلاح الإسلامى » قال : يظن الأوربيون

أن الأمة الإسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية فلما رأوا بعض أعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، أنهم يروعهم اسم الاسلام والجامعة الإسلامية والاتحاد الاسلامي ويظنون أن وراءها غارات تشن وحروب تشن وتعصبا يدمى .

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الإصلاح في المجلد العاشر من المنار فيتحدث عن اجتماع الشيخان في باريس حيث أصدروا العروة الوثقى حيث كان قطب سياستها دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر في أحوال المسلمين العامة وارشادهم الى ما ينهض الى مجارة الأمم العزيزة ، وكان من رأيها أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وأن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز .

يقول : ولما أنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية اسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي ، وما تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية والمدنية ومن تلافى البدع والتعاليم الفاسدة (وان ابراهيم بك نجيب قد أخذ من هذا ما أودعه في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان حماة الاسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبي قدم الى مصر ١٣١٨ ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية في مكة في موسم ١٣١٦ ، كل هذا كان الإصلاح الديني ممزوجا بالإصلاح السياسي على المنهج الذي جرى عليه المسلمون من اشتغال الدين على كل شيء . وجه الامام ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوربا دعوته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى اصلاح حال المسلمين باقتناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) احداها لاصلاح الملكة العثمانية عامه قدمها الى شيخ الاسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدمها للسلطان (٢) والثانية لاصلاح التربية الدينية والتعلم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداها به لعملت ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين . وفي السنين الأخيرة استمر

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون إلى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهراً وباطناً ، ومسالمة أهل السلطة سراً وجهاً والرضى منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الإجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوربيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عسبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى ينعقد في مصر للبحث في الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر في الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار في طريقه عاملاً على القواعد التى قررها في هذه المجالات جميعاً ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريدى الإصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الإصلاح إلى الأمام فيقول في المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريدى الإصلاح بوجوب التعساؤن فبادروا إلى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك إلا أن يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم في الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة ، والتعاليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الإسلامية إلى التقاليد الأفرنجية فهم يدحرجون الأمة من تقليد إلى تقليد . ان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج إلى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أننا لا نجادل أعداء الإصلاح بنسييف ولا بسنان ، وإنما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم إلى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن إليهم وان أساءوا إلينا ولكن لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقاً عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعده الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضا بل ولا تحفظون أرضا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله ما بكم ، فغلبه الوثنيون وأنتم غافلون واجتمع اليهود وأنتم متفرقون وسبق النصارى وأنتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الأمم في عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله في نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الإصلاح ففي (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمرء والحاكمين . قال : بلغنا أنهم الفوا في العام الماضي جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وآدابه واحكامه ، وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الإصلاح اخذ الاهبة لجهاد جديد هو اشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى أنه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال . قال احدهم مفاكها الأستاذ الامام وهو في مرض موته . (٢) ان طريقتك في تفسير القرآن قد احدثت اشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها ابانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا في الأزهر ركيئا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الإصلاح لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليل أظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والأزياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده في التفسير بان الدين موافق

للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التفريب وبين القول بأن الاسلام عقبة في سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرّفنهم في لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن محجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الإصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارتن وأشار الى جهاد النار في طريق التصوف والجهود والجبرية ، وقال انه يتوآذ أفراد من غرار الشبان وكهول المنافقين ، ولو سسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم لعظمت جراتهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسر فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة ، وان ما يتوآه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والظعن في نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الإصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولينصرن الله من ينصرة) .

(٧)

لفت نظري أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هي أنها من حيث لا تدري يمكن أن تحقق للنفوذ الأجنبي (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه في تقويض الدولة العثمانية سواء أكان هذا الهدف واضحا امام العاملين أم خفي عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثلاثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه اول من حطم هذه إنقاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لآى أن فرحته بالاتحاديين ونقته على السلطان عبد الحميد كانت باطللة وان الأمور تكشف عن أشياء خطيرة .

● بدا جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم أهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الْبَابُ الرَّابِعُ

أحوال العالم الاسلامى

أولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والغرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الإصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانية

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصالاً لا يتوقف وان كان يختلف من مرحلة إلى مرحلة ، هذا الاتصال يرجع إلى أمرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاسلامي ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثاني) موقف السيد رشيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشامي الذي كان جزءاً من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الأولى : سوريا وقد كان لأهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقي ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانية التي كانت قد أصبحت بعد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وان كانت موالية لها فقد كانت الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل والحزب الوطني تعارض النفوذ الانجليزي وتوالي الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشام (سورية ولبنان وفلسطين) الذي كان معادياً للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التي كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتي وصلت إلى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب على المشائق وأفسدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم إلى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاسلامي الذي عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين في تترك العرب اثره في انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنسار ١٨٩٨ إلى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفي الكراهية وتظهر شيئاً من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه الفقاعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفي نفس الوقت كان ترحيباً وتهليلاً بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يلبث قليلاً حتى تغير اني شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

موقف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها هرتزل على ادخال انيهود الى القدس — ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل ان يحكموا وينكشف أمرهم . فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور اتاتورك الذى انفى الخلافة الاسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت احاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، ولذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع بمبايعة الخديو عباس بالخلافة واحتلافه مع السلطان (ليونيهى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبي . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجرى احاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دعوة الاتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الجحاز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصلا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة العلية) تحدثت فيها عن أركان الاصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوروبا واحتلاف الأديان كما تحدثت عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوروبا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فندنا هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الإصلاح لا يكون بتقليد أوربا في جميع الشؤون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعضيد أوربا على الدولة العلية) م ١٠٤ .

وقال : أن أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان في الستين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوای من أوربا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وأفاض في الحديث عن مدينة العرب ودور العرب في الحضارة الاسلامية ، ولابد أن هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور في كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت أن تقضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد اثار الى هذا المعنى في مقدمة مقالاته (مدينة العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما اشرنا الى بعض نزعات التعصب الجسمى عند الترك ولا شئ يقرنا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة في نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسرى بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعننى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعننى بأن كل شعب يمهّد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدينة العرب كتابات عن أثر المسلمين في الحضارة العالمية كالطب والفلك وغيرها .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسان لا لتأسيس عصبة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عرى الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والایرانية والدعوة الى شد أواصر الاخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على احياء المدنية الاسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ - ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعية الطورانية

في مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بداه على هذا النحو (م ١١) .

[اعظم أحداث هذا العام هو اعلان الدستور العثماني]

وتحتفل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طوال هذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان في صراحة وعنف وعلان الاعجاب بالاتحاديين في حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه في الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشام كما سافر الشيخ رشيد الى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات في مختلف البلاد .

وبدأت المنار تنشر فصولا عن الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة (محمد روى الخالدي) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهي جديرة بالبحث والمراجعة في شأن التأريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى اليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعت الى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك للذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنار الى أن السلطان عبد الحميد تولى في شعبان ١٢٩٣ هـ وأن السنة الثالثة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمة حكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فان اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل في مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ — ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « **احمدى الكبير وكبرى العبر** » : خلع عبد الحميد خان ، نفيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله ونخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وأبضى هناك عاما كاملا للسعى في شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أى تقدم يذكر ، وكشف في (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقى وموقفهم من الاسلام غير أنه أبان الحيلة التى شنها السيد رشيد رضا وشنتها صحف المقطم والهلال وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال في جزء آخر من العالم الاسلامى تختلف عن هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التى تصدر في لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثمانى فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشؤم في الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزلته جمعية الاتحاد والترقى التى كانت عند أول ظهوره في بدء احياء الدستور العثمانى أخيرا مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانتقاياد لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالنفارة التى تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تمهد لعزله فأبعدت عساكر الأستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التى جاءت بها من سلاتيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايوى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقى كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العساكر المواليين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تائبين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة في أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحرية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها أى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فثمر عن ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد واقتلع صدا الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية وأجرى الترع والقنوات وأخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشرداء ففاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلال . يعمل ثمان عشر ساعة في كل يوم ، ويشغل في مهام السلطة كأدنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله في المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

❶ بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعمد أن تتحدث عن شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزورر تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسج العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربى منذ ثلاثين سنة وقبض في راحته على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسدهم وبأسهم ، وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انتاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة *

أن لا يخفى أن الدولة العثمانية إنما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من التقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه بشار تلك الحوادث ظافرا فأنزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف مخربة .. ان خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للأسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصه وأعماله يبنى عليه أو يقضى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف ائذى يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا أجسر على المنابر (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روى الخالدي قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثماني ، كما نشر سليمان البستاني كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذي وصفته بأنه تأمر على حكومة مدحت الاولى وتحدثوا عن انسجون والاغراق في لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبّهات تكشفت في السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التي أراد بها النفوذ الأجنبي تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهي تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحقد على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية في شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التي حاولت اغراءه بالمال ثم انتظمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذي قام به عبد الرحمن الكواكبي حين جاء مصر في وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نيته في جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لأن تتهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا في بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد ألف كتابه (أم القرى) ولو أنعم نظره السياسى لرأى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسمى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استفواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

- ٢ -

فى عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقة ولذلك فان العرب خاصة وأعلام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفى هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين عنصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك منفسدة من آخر المفاسد وانما فى اشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لأن مصلحتنا ومصلحتهم فى ذلك] .

ويقول : يجب على العرب أن لا ينسوا فى اتحادهم بالترك أنفسهم ويتكلموا على غيرهم بل يجب عليهم متاراة اخوانهم فى التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التى عليها مدار العمران ليكونوا

يدا واحدة في احياء الدولة وليقدروا على ترقية قشمان بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا اهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقول : الدعوة ان تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة عن ادارتها الداخلية ويمبر عن ذلك بعدم المركزية لابد من استقلال كل جنس بنفسه ، ان نبني حاضرا ومستقبلا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها ، وان نكون الآن من أشد الاعوان لجمعية الاتحاد والترقى على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التي هى حياة الأمة في هذا العصر وإصلاح طرق التعليم بإنشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التى تقوى بهسا الأمة وتعزى الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقصدون النظريات اليونانية فى الالهيات التى تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا فى أول أمر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الأيام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم فى العالم الاسلامى كله .

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنارم ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر ان الانقلاب العثمانى كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقى فى سلانيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علامقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدستور وحامييه وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للداخلية وجاويد للمالية وأحمد رضا رئاسة المجلس ، وتقدم اليهود فى نظارة المالية على غيرهم وأعلو كلمة الماسونية

والاسراف فى نشرها وتقديم المقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلطة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفيه القوم) وأتمت فى الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبرات صناديق أسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون فى نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها فى ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفى الدولة وذلك يفضى الى غوز الجمعية الصهيونية فى استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والتوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية وامانتها فى المملكة وتترك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الالبانيين والاكرد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الآستانة على هذا وراينا اهل الراى والعبرة يتوقعون انفتن ويخافون العواقب ولم احب ان اشرح هذه الامور وابين ما فيها من الخطر بل سعت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحي لهم شيئا ولما عدت الى مصر اشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون فى هذه المملكة الاسلامية » .

وتالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع انباحث اليوم بعد سبعين عاما فى معرفة ما يدور فى فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية واشارة الى حزب اللامركزية فى مصر والمؤتمر العربى فى باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث عن حقوق العرب فى المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية واشارة الى أن الحكومة الاتحادية اضعأت بحمقتها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الاوربية والانقرتية وأشار الى تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة فى خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، واثار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وفي الكويت واثارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والغفير (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما سجلته جريدة دين ومعيشة التي تصدر في روسيا (اورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لانهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك أنهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٢٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه واسقطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرمهم من الاراضي والأودية كلها وتركهم اذلاء في العالم ، كان في مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد انور بك ونيازي بك اللذان هما قدم شؤم احدهما قدم بلاد الارناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

واشار المنار الى دور الاتحاد والترقي في انعاش الماسونية وأن الماسونية راجت بسعيهم وانهم اسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان في رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشة) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه ان اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون وجعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية (وهذا ما حدث بالدور الذي قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو أن يكون رجال الاتحاد والترقي قد اعتقدوا أن دولة عريقة في الاسلام وارثة لقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها في العنصر التركي وانما من المملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحى ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجاهدتم أنفسهم عنقاً .

وأفرد السيد رشيد بحثا تحت عنوان اليهود في المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الاستانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقى عظيم وأن ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن فى هذه المملكة وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم المالية فى المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية .

- ٤ -

الجمعية الطورانية

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعية الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثة فى الاستانة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة فى جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلى الانفصال عن الاسلام ولها اغراض عديدة :

- ١ - جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .
- ٢ - ترقية الروح العسكرى فى الأتراك .
- ٣ - انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمى أذربيجان وروسيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .
- ٤ - تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .
- ٥ - محو الجنسية العربية وادماجها فى الجنسيات الأخرى .

ويرمى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبل كل شئ ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبل على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع فى تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء مرق كشافة من الأولاد الأتراك تحت اشراف أنور باشا ، وإشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام والأولاد الذين لهم أسماء عربية يستبدل أسمائهم بأسماء تركية بحتة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ أقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العمام قرا هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصدددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فان الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف او حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفعل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، ومما يدل على ان العقل التركى ليس عقلا مستتبعا انه لم يأت بمستحدث في الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، ومما تسمى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية عربية واسعة الأرجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا او لآى دولة أخرى أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية لذلك تراهم يسمعون لتترك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى في كتاب ألفه : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب أن تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسمى الاتحاديون للانشاء الحضارة الاسلامية فقال : اقمتم في الامتانة سنة كاملة اخترت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا ازال أرى

فى كل سنة من الآيات ما يؤيده ويقنعنى بأنى قد استتبقت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لأمكننى أن أنال فى الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمح لعربى من نيل مثله فقد منانى الاتحاديون أعظم الأمانى لأنهم كانوا يظنون أنى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والاحاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة أنى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم أكتب شيئاً يناقئ مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئاً يناقئ الاخاء الدينى بين العرب والترك فأتا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جداً ولعلمهم لم يكتروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب فى سوريا مصلوبين فى أعظم مدنها عمراناً وسمع من سسمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

وأشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رسلام فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن غرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على أنقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المسلمة اليها وفيها الأمة البطغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسمى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسمون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم فى ذلك وجهان : تمجيد الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

وأورد (المنار) في مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة وأميرها الذي أعلن فيه الحرب على الدولة العثمانية والانفصال عنها (١٩١٦) حيث أشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هي التي جنت على الدين والدولة والأمة فأنحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت احكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعه من التصرف لشئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من اهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنسوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الخجستان اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يتعمدون افساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهاننا على ما تكنه صدورهم نحو العرب والذين رميهم البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم أثباء قيسام البلاد بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشيد رضا في المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد والترقى في تحويل الترك عن الاسلام والتشكيك في عقائده وشريعته والتشويه لأدابه وفضائله والمحو لعصبية من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التي يصدرها محب الدين الخطيب في الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم أشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمره للعرب وما فعله

جمال باشا في سوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ، وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون الى إبادة الشعب العربي الناصر للاسلام وتترك بلاد الخصبه واذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين أسرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمة لاذلال الاسلام .

- ٦ -

ويتساءل المنار في إحدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقي خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجيب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاتهم في النمسا والمانيا حيث يوجد أقوى أنصارهم ولذلك نرى همهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيفارقوا عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها فاذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الانسداد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد ان كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تمرق مسامع أهل الأستانة والسبب كله ما عند الجيش العثماني من المؤونة وقد خسرت الدولة في عهدهم المشئوم من الممالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياهما للنمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعهما اياهما لاطاليا ومكدونية وألبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون .

وهكذا أوشك الستار أن يسدل على الاتحاديين بنهاية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن أمضى عاما كاملا في الأستانة عمد فيه على محاوراة زعمائهم ومذاكرة علمائهم ، وعاد وهو موقن أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقي) ستقضى على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

وأشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية في عهد الاتحاديين فقال :
« لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلّوهم وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التي جعلوها لغة (حاكميهم المالية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك في عقاره والسيد في عبيده وامائه . »

وأشار الى هزيمتهم في حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة أن تأخذ القسطنطينية منها وتحدث عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل وأشار الى أحمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وبأظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين أياسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة فى البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رعوسهم وزوال سلطانهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ - الى نهاية المنار)

اتاتورك واسقاط الخلافة

- ١ -

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هي اهم ما عنى به المنار (في مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤثر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحي تظاهر على تأليف اوطان خاصة للأقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب أن تكون لهم اوطان في قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربتهم أربع سنوات فأنهكتهم الحرب وأنهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الأول أخذت المنار تنشر فصولا ودراسات متنوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات في هذه الفترة :
أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتقموا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التي ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادي ، وذلك على النحو الذي ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودي مرجليوت .

ثانيا : موقف مسلمي الهند وجهادهم في سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوى تحرض المسلمين على النهوض للوقوف في وجه حركة الكماليين وقد اثار في رسالة أرسل بها الى المنار (م ٢٤ / ٦١٩) الى الحركة التي قام بها المسلمون في الهند والمطالب التي نهضوا بها أمام حكومتهم البريطانية ومساعدتهم التي بذلوها في سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين في استغلال الأمم والخروج من ريقه الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لضعاف كلمة الاسلام وتوهين جامعة المسلمين ، وقد دعا المسلمون في الهند الى التناصر والتآخى والدفاع عن حوزة مركز الاسلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم أو حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الاسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وأمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم ان يخوضوا فى شأن الخلافة » .

ومن ناحية أخرى أعلن عصمت باشا قيام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائها وقال المنابر أن فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمة جريدة طنين التركية فى شأن اللغة العربية بوصفها لغة الاسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغة واحدة فى العلاقات بينهم أسوة بالقاعدة المتبنية فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية .

وكشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير متقنة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العلامة أبو الكلام آزاد عن الخلافة الاسلامية (م ٢٣ / ٤٥) .

ولم تلبث الأحداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل : **اسقاط الخلافة الاسلامية** وعرضه المنار في اهتمام بالغ تحت عنوان : **الانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية** : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف والمدارس الدينية وفى فصل مطول قال السيد رشيد رضا : بدأ سياسة أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشعوب الأوروبية المسيحية العثمانية كاليونان والمغرب والرومان والبلغار حتى نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوروبية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة وعصبية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكراهة السلطنة العثمانية . ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية لينبأوا على أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن المترنجون من الترك بتقليد الأوربيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم السلطان أن الجون ترك يكيدون له فلعج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اياهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية الاتحاد والترقى ، ألفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ، ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وأفريقيا وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شر ممزق ، ومعاهدة لوزان التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبية ، وقام مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام « .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وتقيام الدولة السعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنار لكل ذلك

بقوة ودحضت شبهات على عبد الرازق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية في ترجمة القرآن ، وفي فصل مطول تحدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسلام فقال :

كنا نعلم ان مصطفى كمال باشا يشننا الاسلام ويمقتة من قبيل ان يظهر ذلك ونعلم ان ملاحدة الترك الموافقين له في السعى لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضا فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرن الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي فأبوا الا أن يهدموا كل ما بقى للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا في قانون الجمهورية ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الأمة. ان هذا اللقب قد وضع تقية ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركي حر في اختيار الدين الذي يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمري انه ليس حرا في أن يكون مسلما فانه يجبر اجبارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيد للتعليم التركي وسمى تفضيله للقوانين الأوروبية المسيحية الأساس كتمانن سويسرة للأحكام الشخصية ايثارا لأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركي ولكن يود أن يأخذ ثمننا على ذلك من الدولة البريطانية وإن من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا المصري الأصل المقيم في الاستانة الذي كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبل أن يصل أمر الحكومة التركية الى هذا الحد ، فلما نزع في الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك اللاحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب أرسلان مقالات في اظهار خفايا شتان الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة في مصر ولم يرد له أحد حجة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا انه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لانه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من أنبغ مريدی الأستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السامية وحكمها العالية في بيروت فكان بهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحة الترك للاسلام » وعلمهم على محو الاسلام من الشعب التركي وتأسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتترك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتركه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل في القضاء على الاسلام فمهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحاني لا عمل له وقال انهم فشلوا في هذه الخطة لان الشعب التركي يدين بالاسلام وهو ساخط على الحكومة لشعوره بأنها تهزم دينه الذي هو مناط امله .

وتحدث عن خط هجوم الكمالين على الاسلام باستبدال الاحرف اللاتينية بالحروف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامي فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكمالين فرضا مقدسا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذرايرهم المستقلة فان أعداء الاسلام في انقرة لم يجدوا أمامهم عملا الا استئجار الكتاب من اوروبيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الاحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون في باريس للقضاء على الاحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثاني

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من اليقظة والوعى بالتيارات العالمية والمؤامرات التي تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لآخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٢) تحدث عن هذه الارهاصات فقال : رأى جمال الدين أن نخلة الماسونية تجر هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالخيوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الضبيبان انها هي التي تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر العوبة في أيدي الاوربيين فأراد أن يرى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية في تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعهم ، ولكنه كان غاليا في مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضبطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل في مصر الا في تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت في مصر آلة لبعض زعمائها في جلب المنافع ثم كثر فيها الفوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الألسنة بالظمن فيها وليس هذا مما يعنيانا الآن .

وفي نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت في أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناء الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الانرج لما تغلفوا في الشرق وراوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له في حكمه

فهو يجيش بانفعال جميع المسلمين لنبد سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين واغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فادخلوا طائفة منهم وبقي اكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعاً من نزعات الكفر أو وسيلة اليه الا أن الشعب المصرى سريع الانقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله على أن اهله يتصلون بالأديان ويدعون عدم التعرض لها بحال ... »

ومضى السيد رشيد يوالى امر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م ٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين مكاربوس ، والحقائق الاصلية فى تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها أعمالها السياسية السرية التى كانت من اعظم أسباب الانقلاب السياسى فى أوروبا (وتابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الأحداث المضرة من أعمال الماسونية فى الدولة العثمانية وفى السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جربت الاثنين ففشلت الأولى ونجحت الثانية ، وبعد هذا انكشفت أوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين ممن دخلوا فيها ظناً انها وسيلة للنهضة أو وسيلة للبر أو مقاومة للنفوذ الأجنبى . ففى عام ١٩١٨م (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية فى البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده انها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا « شرقيا عثمانيا » استاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وأنصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا يرضاهما فى ادارته التى استعانت فيها بالملكة بالسنة ولاياتها الا ولاية سلانيك وكذا أنرتة فيما أفطن والسنة بمعوثها حتى يعص الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطة الحقيقية فى المملكة وانما الاستانة مركزا للتنفيذ

ثم واصل المنار الحديث في المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنها أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم في الثورة الفرنسية وفي الانقلاب العثماني ثم نشر بيان الاميرالاي صادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقي وأشار الى مقالة مجلة دين دمعيشت الروسية ان جمعية اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماسونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

- ٢ -

وكان هذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيوني الزاحف الذي لم يقلل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن اخطار الجمعية الصهيونية فقال : ان رياض باثشا اطلع على كتاب لبعض الاوربيين المجاورين لليهود عن الجمعية الصهيونية ومساعدتها في اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (اى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هذه الجمعية في منار السنة الاولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه ان حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة في النمسا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهي تتظاهر بتقتل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلسطين فلما وثقت بقومها الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منذ أشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندرة الى الاستانة للمساومة على شراء القدس الشريف ويقال انه لقي من الحضرة السلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب في الجمعية فقال : ان اليهود س يرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التي لا يمكن أن تغرب شمسها عن سماء أفكارهم وسيبلغ عددهم فيهمسما عام ٢٠٠٠ أى في آخر القرن العشرين المسيحى مائتى ألف ألف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الارض جنات عالية قطفوها وينشئون فيها حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وارجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الأمم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

التقود الكافية لابتياح أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن ألف ألف ريال أمريكانى (مليون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنسية والموضوع بكامله (ص ٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) ويبدو أن السلطان عبد الحميد لم يكن قد حدد موقفه من الصهيونيين فى هذا الوقت ولذلك فاته لم يعلن موقفه الا بعد أن أتاح لهم الفرصة فى ذكاء السياسى لطرح كل ما عندهم وقد أشار هرتزل فى مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وأن السلطان قد حسم الموقف فى النهاية على النحو الذى أزعجهم وجعلهم يرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم أعلنوا عليه تلك الحملة الضارية التى قادها صحفىو المارون فى مصر وغيرها فى المقطم والهلال وكتابات سركيس وغيره .

وفى المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السيد رشيد رضا عما أطلق عليه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الاستانة باقامتنا منها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود فى جماعة الاتحاد والترقى عظيم ، وأن ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أن اليهود سيكون لهم شأن أى شأن فى هذه المملكة ، وآمالهم فى القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية فى المكان تعظم وتعوذهم فيه غير مجهول وأشارنا الى ما يخشى من مقبلة ذلك فى أجزاء السنة الماضية ثم جاءت أنباء مجلس الأمة العثمانى فى هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية فى المملكة العثمانية وأنكروا على ناظر المالية ببيع أحسن موقع عسكري فى الاستانة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمرة بعض اليهود ، كذلك أشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسمى لتمليك اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبيل لاعادة ملك بنى اسرائيل .

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا فى مشروع الأصفر حيث قال ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الأموال الأوربية فيها وزمام هذه الأموال فى أيدي اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهيونية ينحصر

في شيء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهود ينحصر في غرق الأهالي والحكومة في الديون وثانيهما تملكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقيد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراحة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف في التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقى وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة في مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حتى باشا الذى صرح في خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل في هذه الدولة ، حتى في أمورها الادارية والعسكرية .

- ٤ -

ويتحدث السيد رشيد رضا في مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهود في شل عرش ذلك السلطان الدينى والدينىوى في أوربا وأنه لولا ذلك لحلت العصية الصليبية راية الاسلام في الشرق كما محتها في أكثر أوربا ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام في الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروثة قد كفرت بنعم الله في العلم كما كفرت بنعمته في هداية الدين فهى تستخدمها في الاستعداد لك معالم الحضارة والعمران وابادة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهذه الدول وشعوبها في شرق أوربا وآسيا بالبلشفية وفي غربها يخصصها الرأسمالية والفرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضهم الأساسى وهو تجديد ملك يهودى يكون له النفوذ الأعلى في العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوي

بقوة العلم والمال لأنه كان يضطهدهم في كل مكان وهم الذين وضَعُوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية أخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانية في الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة في أسطولها وفي جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها ثم سَعَوْا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزاء على عهدها بلسان لورد بلفور في تأسيس وطن قومى ومك يهودى في فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسفن والعنصرية الروسية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى في مسند العروس بلفظ عدل الله (م ٣٣ / ٣٤٧) .

ثالثا : الحركات الإصلاحية (الوهابية والسنوسية) وغيرهما

— ١ —

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الإصلاحية الإسلامية وتابعت حركة اليقظة الإسلامية في مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الإسلامية التي عقدت في الهند ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذي تخيله الكواكبي ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهند ١٩١٢/١٣٣٠ .

المؤتمر السوري العام بدمشق ١٩٢٠/١٣٣٨ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السوري الفلسطيني بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السعودي ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام في الهند وفي جزر الملايو فتحدثت عن أحمد خان الهندي وأحمد دحلان ومدح المنار أحمد خان الذي أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبده فيما فعله كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفي المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة المانية (دي كولوني) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسي وانها أنشئت ١٨٥٥ بواحة جفوب محمد بن علي المنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتاخمة لمراكش ، بارح وطنسه

١٨٣٠ مشعلا نار النعمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرجل بعد الرحلة في واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد احمد الشريف السنوسى الى جهاد الايطاليين كما تحدث عن ثورة السودان التى قام بها الامام المهدي (م ٢) وتحدث عن النفوذ الانجليزى فى البلاد الاسلامية والامتيازات الاجنبية ، وتحدث عن تعصب غلادستون وسالبرى ضد الاسلام .

وأولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية فى جاوة وعن سياسة فرنسا فى مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام فى مجاهل افريقيا نتيجة أسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما أنس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونها بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه أثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين فى الهند ونشر فصولا عن محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام ازاد فى الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

- ٢ -

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعا هاما ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاودة سايكس باكو وقيام نظام فى سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالى الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفي مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين قال : لفظ الوهابية يطلق على اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم السني الشهير المجدد للنهضة الدينية في نجد ، فقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في ابان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا اداري .

وقد انبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمد علي باشا التي كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وارادت أن تشوه تلك الحركة الاصلاحية فاذاعت انها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع في الاسلام مخالف لمذاهب اهل السنة واغرت انصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل اهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب في الأصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب الامام أحمد بن حنبل واصحابه .

وأشار الى رواية الجبرتي عن الوهابية وعسكر محمد علي .

ثم قال : ولا يزال مسلمي الحجاز ومصر وسوريا والآستانة يظنون أن لاهل نجد مذهب مخالف لمذاهب اهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه افضل الصلاة والسلام ما يعد اهانة وكانت قد صدرت الارادة السنية الى محمد علي بقتالهم وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فأطفا سراجهم وبدد شملهم .

ولم يكن في هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار الى ثورة الشريف حسين على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتها في عهد الحرب الأوروبية وقد أقتنع بعض اهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ ذلك وسعى الى جمع كلمة عرب الجزيرة في سبيل انقاذ عرب سوريا والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد سمي بعض الطامعين في جمع الكلمة يعقبد اتفاق بين شريف مكة والأمير ابن سعود صاحب

نجد والامام يحيى صاحب اليمن والاريسى صاحب عسير على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم على دفع العدوان الاجنبى ورفع شأن الجنس العربى ، وبدأت حكومة الحجاز في الطعن في اهل نجد والدعوة الدينية الى مثالهم ، وقد أرسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد في الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشارة الى البدع والزيغ الدينى عن منتحلى العقيدة الوهابية المكفرين لكل العالم الاسلامى

وتحدث عن موقف حكومة الحجاز وتكفير الوهابيين والنجديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد ارسل ابن سعود بياناً الى اهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونقلد في عبادتنا الامام الاعظم أحمد بن حنبل ونعترف أن اخوته الائمة الباقيين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يفركم ويفسدكم ويفتكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم في الله يجاهدون في الله ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم فخلوا بيننا وبينه ليزول الأعجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجليه منشأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسى محض ، كان أولا لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسلطان الدولة . الى أن حددها الملك حسين في الحجاز وولده فيصل في العراق وولده الامير عبد الله في سوريا (فلسطين) لقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماه فيها بالكفر وتكفير أهل السنة والطعن في الرسول الأعظم وانه لابد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر في بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبي في تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا .

ويتحدث السيد رشيد رضا في المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : « ما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وإن الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من أجلهم في القرون الوسطى قدرا وأنبهم ذكرا شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله فقد أناه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى وأهل البدع والاف في ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له اكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وبذائه وصدده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس في هذا السبيل وظل أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى أحياها الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي نشأت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم أن مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك اما امراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا في الطعن على دين الوهابيين وافتراء الأكاذيب عليهم ، وأشار الى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، وإلى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانتقاده منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات في جريدة الأهرام وفي المنار كشف فيها عن أن هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الامام احمد في الفروع وانهم اشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا وأبعدهم عن الابتداع ، وان الاستعداد للاصلاح الاسلامى الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى .

البَابُ الْخَامِسُ

ميادين العمل الصحفي الاسلامى

الفصل الأول : التعريف بفضل الاسلام

الفصل الثانى : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المرأة والمجتمع

الفصل الخامس : احياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الاميلن

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الاسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضل الاسلام

- ٩ -

كان صدر السيد رشيد رضا ممثلنا ايماناً بعظمة الاسلام وفضله وأمجاد تاريخه على نحو واضح في كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول أولى اهتماماً كبيراً لإبراز عظمة الاسلام « كمنهج اجتماعي وحضاري » كان له أبعد الأثر في الحضارة الانسانية عامة وفي الحضارة المعاصرة وفي تمدن البشرية ولذلك فقد أولى اهتماماً بأدوار عدة :

أولاً - عرض ما جاء في تقدير الحضارة الاسلامية والشرعية الاسلامية في كتابات الغربيين .

ثانياً - عرض صفحات من التاريخ الاسلامي وتاريخ الاندلس ودور المسلمين في بناء المنهج التجريبي واقتباس أوروبا من الاسلام .

ثالثاً - دور العرب في بناء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام في الطب والفلك وغيرها .

رابعاً - الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن في التاريخ الحديث التي أولت اهتماماً وتقديراً للاسلام .

خامساً - عظمة القرآن وصلاحيه الشريعة الاسلامية لهذا العصر وكل العصور .

وهكذا مضى المنار لطيطه منذ اليوم الأول الى اليوم الأخير فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : **الجواب من الكتاب** (كما بدأكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) ومن كلام علماء العمران أن التاريخ يعيد نفسه . ويقول : لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاسلام لأنها وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،

بل سلامة الفطرة وغيره النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون منه على وحى سماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه ، وأشار الى انه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الاوربية واكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منحرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بأدابه وفضائله ، وهناك سكان البوادي من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم . طائفة يعسر عليها ان تجارى المدنية الحاضرة قال : والنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والممل حقوقها فى بلاد الاسلام على اكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لغات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم وأقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يهدد العرب ابتلاع الأمم المتمدنة لهم ، فاذا كسر باب المسألة الشرفية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربية تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالأصول والأعمال التى أخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجد بالأخذ بها والأسباب تتصل بمسبباتها ، وعبرة يعود غريبا فى الحديث النبوى اخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضمحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته ، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الأولى وظهوره فى المرة الأولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الأمة الشقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والقنوط .

وأحاديث مطولة في المنار (منذ المجلد الثاني) من مذبذبة العرب
وقد أنشأ هذا البحث ما كان يكتب في تركيا عن العرب تعصبا للجنس
وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على
أسلوب جديد وكانوا ينتقصون العرب في تركيا ويقولون انهم ليس لهم
تاريخ ، وحاول في أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات
تروى ما قدمه العرب في مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ،
يقول مع الإشارة الى نزعات التعصب الجنسي عند الترك « حرصنا
بان لا تعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن
الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقية
نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم أشار الى الفوارق بين المدنية الإسلامية
والمدنية الأوروبية وأخطاء الأخيرة حيث حرم الإسلام مقاتلة من لا يقاتلهم
كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك
الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس أوروبا من الإسلام ، وعن ثناء منصفى الأفرنج
عليه كما تحدث عن تبرئته بإدانة أهله وأورد ما قاله المنيو ريمون الرحالة
الشهير من أنه كان لا يأمن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه في مجاهل
أفريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة في هذا
المعنى الى السيد السنوسي مدح فيها أخلاق الإسلام وفضلهم على سائر
الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى سبق الإسلام الى المبادئ
الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفارق بين اشتراكية الإسلام
واشتراكية المسيحية (م ١/٩٤٨) .

كما تناول التاريخ الإسلامي وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث
من جزيرة العرب ومكتشفوها من الأفرنج ، وأشار الى تعصب أوروبا على
الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الإسلامية وأورد شهادة التاريخ على
بعضها (م ١/٤٨٨) .

كما أورد كثيرا مما كتبه اعلام الغرب عن الاسلام وفي المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه فى مؤتمر افريقيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنية الحديثة ، كما أنفاض فى عرض آراء القس اسحق طيلر عن الاسلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ (م ٤ المنار) وكان قد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جيمس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام ومقصدى الوحيد أن اطلع من ذلك المكان على الاعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية وانى اقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رايت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وبنقاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامة الكتب المنزلة من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متقنة جدا وبعض ادعيتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

كذلك فقد أشار الى كتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذى ألفه روستو فدوئى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ٨/٩٥٣) .

وأولى اهتمامه لاسلام لورد هدلى (م ٢٤/٥٥٦) وكتابه ايقاط الغرب للاسلام (م ٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون أن المسيح نبى وهؤلاء شيعه كبيرة فى انجلترا وامريكا وأشار الى قول هدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يبشرنى أحد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الاسلام ،

وقد وجدت الاسلام دينا بسيطا ، ومما يذكر أنه ادخل باسلامه نحو اربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى أن اعرف أنه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على ايتاء الخير ازاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها ازاء بعض واذا عينت لجنة من الانكليز الاكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لاجمعوا أمرهم على أن يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا اعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط أنه من الضروري لخلاصى أن اصدق الوهية المسيح أو أن اعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث أشار الى ما كان من فتوحات النصارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وابادة المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهر الشعوب التى فتحوها بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شعب كالشعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمسلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لفقهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة أو من أنهم أفضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد فرض على المسلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الفرنج أن لا ضرر على أى أمة فقد من وطنها شئ أن تستعد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنسا باستعادة ولايتى الجزائر والورين من ألمانيا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتها منذ نصف قرن ونيف .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن الاسلام دين سجادة وسلطان

وشريعة وحكومة ثورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوروبيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حماتها من الترك أنفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشيرية واللا دينية وبكتبهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا انه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لاتمام هذا الفتح الا القضاء الاخير على مهده الدينى وعلى شعبه وانصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه احكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه ان يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا رأى يجب على مسلمى الارض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطيد أنفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى ان ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض اهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨١)

(٥)

وفيما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا عن حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الاخوة العامة
ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية
ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد اجمعت الامة
الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الالف
المرسوم فى الوف الالف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على
محدد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق اجمعين (٢) وقد اجمعت
الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن العربى هو أساس دين
الله الذى اكمل به ما اوحاه الى رسله من قبله ، واثم نعمته على العالمين
وامر رسوله أن يبلغه كما انزله بنصه العربى المبين فبلغه كما أمره الله
وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمة العلم من عقائده واحكامه
وآدابه (٣) وقد اجمعت الامة عربها وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد
بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من اجناس
البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامثالاً للأوامر واجتباباً للنهاى
وحكما بين الناس قال (وكذلك انزلناه حكماً عربياً) على ما فى ذلك من
الفروض والواجبات على الأعيان (٤) اجمعت الامة الاسلامية عربها
وعجمها على أن ما فرض الله تعالى على أفراد أمة محمد صلى الله عليه
وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربى
المنزل كما انزل (قرأنا عربياً غير ذى عوج) (٥) اجمعت الامة الاسلامية
على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة أخرى يتعبد بها فى الصلاة
والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم
كما سمي الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى
جميع الشعوب الاسلامية والأعجمية من الترك والفرس والأفغان والهند
والجاو والصين يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية
تفاسيره وكتب الحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة
العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى اجمعت عليها الامة اعتقاداً
وعملاً ان اقامة هذا الدين فى عباداته وتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة
اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة
وأوجب عليهم تعلمها ، صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها في كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفي كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط لكثرة المخالفة لدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما أنها فتحت بابا آخر لئن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح واحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل في الطعن في الاسلام بان ما دونوه منها من المطاعن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدى كثير منهم به (٨) ما ترتب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفائيا ان يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا ان يفتدوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة فرض كفاية على المسلمين لا تنسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشرعية الاسلامية وصلاحياتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنككونى في هذا فضلا مستقيضا قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الاقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سمنائى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحزب شر من حربها الأخير تدك معالم العمران دكا . ولو ان دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ اليهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، ولقد نبئت طائفة في هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها في عصور الانتقال - تنادى بوجوب سر الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فانها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات فلو جارى الاسلام انحذار الامم فاباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجیوش الحروب وأباح الرقص لتنازع النفس وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفى مكة المسلمين أن يزاحموهم ويقفوا مثل وقفهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الأساس الإسلامى الذى جرب فى الأمم الإسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم إسلامى ونظيره فى تشريع وضعى ثم أمام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الإسلامى وخذلانه ثم ما هو الأمر الجوهري الذى طعن به أعداء الإسلام عليه مع تأليبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم اثبت العقل فى وضوح أنهم محقون والإسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الإسلام الا بحالة المسلمين مع أن الإسلام دين وخلق يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشعبية والشهوية لأن الانسان سلام واحاء وتعاطف فى الخير لا فى جوانب المادة ومناصرة فى الحق لا تغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثاني

الدفاع عن اللغة العربية

- ١١ -

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الإسلام في نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفي مواجهة التحديات التي كانت قد بدأت تتعرض لها في هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتفريب والغزو الثقافي ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربي المبين وتناولت الأخطار التي تتصل بإنشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفي مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين في اللغة العربية وعن العربية ووجوب تعلمها في الدولة العثمانية .

وفي المنار ١٩٠٢ تحدث السيد رشيد رضا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المستتر ويلمور المستشار القضائي باللغة الانجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقتناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الأولى لصوت ولهم سبيتا بك الألماني أمين دار الكتب الخديوية المتوفى ١٨٨٣ فانه وضع حروف أفرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والف كتابا في صرفها وكتابا في أمثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسية ليرغب أوروبا في تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الأفرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض أفعياء الأفرنج منذ سنين لذلك وأرصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة في الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلمور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الآخر لم تنشر مقدمة كتاب ويلمور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فإن من الناس من يلتفت بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها وأشار الى مناقشة الشيخ عبد العزيز جاویش لويلمور ، وأشار الى أن جمعية مؤلفة من الشبان الذين اتموا دراستهم في إنجلترا دعت المستر ويلمور لحضور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبد العزيز جاویش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا اللغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فقال ويلمور ان هذا غير ممكن لانه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التي يحذرنا منها هي بعينها محذورة في ابطال لهجات أرجاء القطر المصرى ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا في كل رجا من أرجاء القطر وتبوات طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . واثان خطأ ويلمور في قوله ان لغة القطر المصرى لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين انها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان أكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قریش الفصحى فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحسروف الأثرية الزائدة ، في كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم لأن الأول لا يدل على الثانى في العرف من الكلمات حتى يصح أنه لا قياس في هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقيلنا ان يكون التعليم باللغة العامية المصرية التى لا كتب فيها ولا قواعد لها سننتقل الى دور آخر في تعذر الاصلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه لورد ماکولى على وجوب تعلم الهندو الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التى قامت على اثر ذلك في دار العلوم من اجل الترجمة والتعريب ونشر كلمات محمد الحضرى والاسكندري (م ١٠ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادى دار العلوم ، ان تكون اللغة الأولى

هى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح بانشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ١١/ ٣٢) وخطاب حنفى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣ / ١٩٦) و (م ١٨ / ١٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الافرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ١٣ / ٩٣٧) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظر لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من إصدار مجلس النظر قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقترضى اتخاذها لحياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتفتيش عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختبار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لحياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهلية العرب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى وممالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعية وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الأجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

غربية لبعض المسيمات الامرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا أو عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد في اللغة بل هما جائزان وواجب أن يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الأسماء : اضمالة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسينة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

- ٣ -

وافسحت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها أقدم اللغات الشرقية ولم المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة أحمد كمال في هذا الشأن الذي أجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللغة العربية في عدة فصول (م ١٨) وفي المجلد الخامس عشر خطاب مطول في اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخي فلسفي في مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الأثرى يرجع أن المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب وان الباحثين اتفقوا على أن لغة الآشوريين وقدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت أن الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أصل البلاد الأصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها وان أرومتها الأولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان وأنه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدنية العراق وسوريا ومصر عربى الأصل ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العاديات والآثار المصرية وأمام اللغة الهروغليفية في عصرنا أحمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوفاً من الكلمات الهروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب أو الإبدال المعهود مثله في اللغتين وكان المشهور عن أحمد كمال أنه يرى أن العربية أصل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصا يدل ظاهره على ان العرب أنفسهم او بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق وبنى عليه محاضراته وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري بالاقصر في زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق . م) وهى ارقى دول مصر وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى اواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١١٦/١٥) .

- ٣ -

ومن ناحية أخرى اولى المنار اهتمامه الى ما جاء في المقتطف من اشارة الى ان فى القرآن كلمات اعجمية وقد كتب احمد كمال الاثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية] .

واورد ١٧ كلمة وأثبت انها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الاعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هى اصل اللغة العربية بلا مرأى بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجها عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وانا أخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها أعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وها أنذا أخالفه فى ذلك مبينا انها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

أكواب وأباريق (سورة الواقعة) أكواب الكلمة مصرية عربية ، أباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

أب — وردت في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو فهي عروبية
الاعجمية ، وفي القاموس : الأب الكلا أو المرعى .

سرى — أى نهر بالسريانية والتبعية واليونانية وفاته كما فات غيره
من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى
أى النهر . الخ .

وتحدث في الجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضوفط
عن اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية ،
وعن القحطانيون والعبرانيون .

— ٤ —

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب
أسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجاني وقالت : لقد تنبه الناس في هذا
العصر الى أحياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ
الشيخ محمد عبيده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك الفقه جبر ضومط
كتاباً في البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه
(فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد في انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماماً بالغاً بالشعر العربى ونشر في الجلد الثالث
للرافعى والكاظمى وأحمد محرم والبارودى وشوقى وحافظ وتحدثت
عن الشوقيات كما تحدثت عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبنائه .

— ٥ —

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المضرة
التي يراد بها إحكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : وإجهت المنار
صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة باللغة الصحيحة الثريفة ،
استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة حركت الألسنة

والأقلام الى تعويق سهام الملام واتامة الحجة على الصائح بأنه يقصد
منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم
وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفي محوها
من الواح التعليم ومحو أمثهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأشار الى
صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائد بالعامية : الحمارة والجمال
والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة
باللجام واحلتهاء ، ألم يكفهم هذا حتى قام جماعة يسمون لتعليم وتعلم
اللغة العامية بحروف افرنجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلابة وكشف القطاء
عن ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء
اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى
صار بعض الناس يعتقد أن احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهدها
إذا تمادينا فى أهملنا وأغفلنا .

الفصل الثالث

التربية والتعليم

- ١ -

إذا قلنا أن لب لباب دعوة حركة الإصلاح الإسلامى هى التربية والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الإسلامية للإصلاح هى إحياء التربية الإسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل إليها العلوم الحديثة وإصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاستئناف عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والرساليات ولوضع مناهج إسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الإسلامية والتاريخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى يمكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهرى ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنية فى الديار المصرية والتعليم عند القبط وسبب سبقهم للمسلمين وصيغ التعليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لإنشاء المدارس الأهلية ، كما تحدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النساء تدبير المنزل وتربية الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتسب التلميز بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عالمات بأمور الدين ثم إن البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخر هو أن وضعهم في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج » .

وأشار الى تعليم البنات في المدرسة السنية وما تشوبه من قصور ونسبها حتى أن مس جريفس الناظرة الاولى للمدرسة السنية كتبت في تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصحح أن يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدارس البنات وجعلها الزامية ومن اثاره أن ترشد البنات وكن مثلها في المدرسة حائرات » .

وقد أزعج هذا التقرير مستر دنلوب فاستغنى عنها .

وقد أشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير في « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية في المدارس وجعل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعدم جنسيتهم بالكلية وفي هذا محو الملة والامة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس اهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامي كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم في الأزهر . وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا أن نلتفتهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقاد ان التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية في نفوس التلاميذ أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه وأن يعيش مع الناس في أمانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٨٩٢/١٣١٠ يوجد ٨٦٠ مشترك في عواصم متعددة للتطهر المصري ، المدارس أربع وبها ٢٥٠ تلميذا .

— ٣ —

وفي مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية اشتمار الى العلوم التي يجب تعلمها :

- ١ — علم أصول الدين : (لا البحث في غوامض علم الكلام كالوجود هل هو غير الوجود أم غيره والصفات وهل هي عين الذات أم غيرها) .
- ٢ — علم تهذيب الأخلاق وإصلاح العادات .
- ٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .
- ٤ — علم الاجتماع وأحوال البشر في بدلاتهم وحضارتهم ومثلهم ونحلهم .
- ٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .
- ٦ — علم التاريخ (مع التوسع في معرفة تاريخ أمته وملته وبلاده . وأن يأخذ طرفاً من التاريخ العام) .
- ٧ — علم الاقتصاد الذي يبحث في انماء الثروة وحفظها .
- ٨ — علم تدبير المنزل .
- ٩ — علم الحساب .
- ١٠ — علم حفظ الصحة .
- ١١ — علم لفية البلاد (يفترض الافرنج بلغاتهم ويدلون على خيانتها ، وحق اللغة العربية على أبنائها) .
- ١٢ — فن الخط .

وقد اشار (م ٩) الى التعليم الديني في المملكة العثمانية وما أرسله للشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام في الاستتابة في هذا الصدد ، اشار فيها الى الأخطار التي وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية على مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزازية والفرير وجمعيات أخرى دينية أوربية .

والمسلمون لا يستنكفون عن إرسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامّة تعدي الى المعروفين من ذوى المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضعفاء يدخلون في سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائدهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى ان التعليم المنتشر في البلاد العثمانية في هذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان الناس في اتحادهم أشد وأقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تعهدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس تورا و انجيل حسب الشرح والتعليق البروتستانتيّة التي يفر منها المسلم ويشكك في صحتها (م ١٢ / ٦٣٧) .

وتابع هذا من بعد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد في المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التي صار انشاؤها حديثا في بيروت قوامه الطعن في الدين وفي ذات الله تقدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايمان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالى بيروت أرسلوا أولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللاديني جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شازعون في انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشيد ، وان فرنسا أقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم يتر فيه فائدة في ترقية

الأخلاق بل دلت الإحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا في الأجيال التي تخرجت في عهده ولا يزال يزداد في الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنایات وقال : والعقلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللاديني وقال المسيو تاملنو من رجال القضاء ان زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللاديني ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى اذا صممت دعوتها الاولى وهى انها تعلم العلوم في معزل عن الدين فكيف وهى لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك فينفانى في مجلس النواب الفرنسى وقال اننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفانا ذكر الحىاد فى الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذى يريد أن يتفحنا به ماسون الاسكندرية وأعاونهم » (م ١٤ / ١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال فى المجلد ١٥ : انه اختبر احوال العالم الاسلامى اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من أمتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا انه لا رجاء لامتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمته ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذى اكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معى على هذا الرأى ، هذا هو العمل الذى تالفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة تذفنا بها المرجفون فى جريدة العلم المصرية هى أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم فى ذلك أننا نخفى عملنا ولا نظهر للناس اسماعنا وقانوننا ..

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية فى البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الافرنجية والمدارس المترنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشئت لمقاومة الأديان وكلها أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة فى أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة .

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانها تخرج فيها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهما ومصادق ذلك أن متفرنجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى امرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام أنه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب أوروبا للإسلام وسياستها معه ، وجهد أوروبا فى تنصير المسلمين ومقاومة أوروبا للإسلام فى بلاده وعطف أوروبا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسألة تعليم اولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تناق فى دين الاسلام سواء بالمقال ، أو بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصاد فيما لا يخشى على الأولاد ضرر منه فى دينهم ولا تربيتهم القومية والمالية . (م ٣١) وقد وسع هذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الأولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عندما يبلغون سن التكليف ومبادئ اللغة العربية التى هى لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانية (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والاحادية تتوخى بث الالحاد بل الكفر المطلق بالرسول وما جاءوا به من الهدى والرشاد وقد ثبت

بالاختيار ان الانحياز في الدين قد نشأ في المتعلمين في تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشاككون او اللادريون ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية والسياسية والاجتماعية في الزواج والارث والاعبياد والمزاسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من القوضى في الامور الاسلامية والجهل ببعض الامور المطلوبة من الاسلام بالضرورة التي اجمع علماء المسلمين سلفا وعلما على كثر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المترجمين والى التعصبة الجنسية للغات الاجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه امتكم امة واحدة) من كل وجه .

فتعليم اولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الايك) قد جنى عليهم في دينهم ودنياهم وسياستهم ووطنهم وسلبهم اكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم اسلموا اولادهم واولاد اكبادهم لاعدائهم لاجل ان يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

واكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الاسلام في علونه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من امورهم في بلادها وغير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب ان ننشئ لهم المدارس والملاجيء والمستشفيات فتغنيهم عن الالتجاء الى اعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة اخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي مقال :

الذي اعلمه انه لا توجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة او متممة بالعمل في تنشئة اطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد عليهم اخلاق الاسلام وآدابهم وعاداتهم كالصديق والاحب والحياء والامانة وعزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب
البذاء والفحش فى القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم بإسلامه
أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب
الخير للناس كافة ، وإن يحب لذلك أن يكون قدوة لهم فى كل مرحلة وعادة
وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم
على قومه مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبراعته من
كل ما فشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والسـمى
لأزالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الإسلام قتلا بتفضيل كل
ما هو أجنبى على ما يخالفه من عقائد الإسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه
وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الإسلام وعنوانه
ومغذية الإيمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها .
هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتها وغايتها كما
شاعوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة
إسلامية لها من المزاي فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به
على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت النظرة الانجليزية
التي كانت تتولى المدرسة السننية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لأبد
من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الإسلام ومزق تقريرها ، ومدارس
التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الإسلام وكل ما ينتمى إليه ويحتقرون
لفته أيضا .

الفصل الرابع

قضايا المجتمع والمرأة

كانت قضايا المجتمع والمرأة في مقدمة الموضوعات التي شغل بها المنار وعمل على تقديم رأى الاسلام ومفهوم الاسلام في مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر الاسلام في الاشتراكية التي تدع اليها بعض الجمعيات في أوربا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، وأشار الى أسوء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الاهلى في مصر، وقال: الأوروبيون علموهم أن حرب الدراهم والدنانير أنجح من حرب المدافع والبولاريد وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكبر بلاد الشرق فالانجليز استولوا على ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة اليجر في أحشاء أفريقيا ، وعقد عدة فصول عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعية في مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٢/١) وتناولت الرقص الافرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الافرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البغاء أو خطر العهارة في القطر المصرى (م ١٠) وقال ألف الدكتور ثورفالييس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقعوا في الأدواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في أجسادهم وفي دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين ، واعتقد أنه لا علاج لهذه المعائب العمرانية والاجتماعية الا التربية الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المرأة وترشيدها نهضة المرأة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الاسلامية في هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التى ألقتها فى الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع الآخر ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبة والزواج والاقتصاد المالى والمنزلى والعمل البيتى والأخلاق والعادات ودور الأمومة .

وعرض السيد رشيد لقضية المرأة فى (المجلد ٣٣) فيقول : كان من فوضى الاقلام وحرية الاباحة والاحاد ان تصدى للتحريير فى الصحف وتصنيف الكتب والقصاص أفراد من المترنجين الاباحيين ، انتحلوا لانفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون لهم كل جديد ضار بمروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجاب واليقين جلابيب الحياء ونشر الأرواح على بمعولتهن وتورد العذارى على آبائهن وخروجهن فى الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات كما ورد فى الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النسائية تجمع بين النساء والرجال فى محافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقى وتعاطى كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجون من البيوت الى سواحل البحار بمآزر الحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات حتى اذا التقين بالرجال على الشاطئء خاصرتهن الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الاباحة لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره على الأسرة فالوطن فالأمة . . .

وتحدث فى موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠) فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منها ظهورها فى اعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالراس والنحر وأعلى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل ان لم يكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير جائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التى تشمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبيه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة في التمثيل والتياترو في المجلد (٢٨/٤١) .

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذي يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير بعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الاجانب أو مطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والاخوان أخرى ، وقال ان من عصيان المرأة أن تبدي ما خفى من زينتها في التمثيل ورقصها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجرائتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد ألف السيد رشيد رضا كتابا تاما في قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه في المنار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

أما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التي أثارها قاسم أمين بإصدار كتابه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلي فاضل ، وان كان قدم ما كتب في معارضته مثل كتابي فريد وجدي وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب في المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما ألف (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى في بيان مضار التشديد والمبالغة في الحجاب وبالعكس جدا في جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود في الأذهان والموجود اثره في العيان واعتذر عنه بأنه أغراط في مقابلة التقييد في التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين في فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك فى رده على الدوق داركور اولاً (وأشار الى أن فريد وجدى فى كتابه المرأة المسلمة أورد جملة حقائق أهمها :

١ — ان المرأة أضعف من الرجل جسماً وأقل منه قبولاً للعلم لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — كمال المرأة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لا ينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ اكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها الا تعلم مبادئ العلوم العصرية .

الفصل الخامس

أحياء التراث

كان أحياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز أعمال المنار فقد كان هذا العمل جزء من خطة الإصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيى كتابى أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه في رفع مستوى الأسلوب العربى ورده الى عصور الأزدهار ففى المجلد الثالث يشير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الإسلامية الى الورااء بضعة قرون والأخذ بكتب الأئمة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر فى ذلك ومن ذلك أن كتاب عبد القادر الجرجانى أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الأستانة ،

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى أسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه أن يقرن العلم بالعمل لأن ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد أن سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأتم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشيخ عبد القاهر الجرجانى (سقى الله ثراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الإعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الأول ولكن كانت توجد منه نسخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نسخيا وعلمنا أن فى بعض مكاتب الأستانة العلية نسخة أخرى فأمر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء فذهب الى الأستانة مخصوصا وقابلها عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فباشرنا الطبع وبأشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فأقبل على حضور دروسه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهي في الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عربى صريح لا عرقى مفقد .

وتحدث المنار على مدى سنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيون الأخبار والأغانى وكتاب أساس البلاغة للزمخشري والذي عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقطنى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكناية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والاشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ، والسياسة الشرعية لابن تيمية ، وفصل التفرقة بين الايمان والزندقة للغزالي ومسند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهي . واحياء علوم الدين للغزالي والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المسبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالي كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولا حظ السيد رشيد على الكتاب الغلو فى الترهبة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى اعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يقرؤون العلوم الطبية والفلكية والطبيعية التى يعلاها علماء الأزهر اليوم (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : انتقده الشيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاة المأمون القضاء فى عسكر المهدي وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الامام الرملى من علماء الشائعة على أن لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدي الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكذوب عليه مخترع النسبة اليه لم أكن مخطئاً (م ٣/٧٥٩)

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج ابناء القرون الاولى في التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين بأطوار اللغة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدي وهو الاظهر واما لضعف الواقدي نفسه في رواية المفازي .

وكما اولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامي المجدد وكان لها دور في احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التي كانت من ثمار حركة الاصلاح في الاغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية فريد وجدي

تاريخ دول العرب والاسلام طلعت حرب

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد الخضري

الفقه والتصوف الزهراوى

طبائع الاستبداد الكواكبي

الدنيا في باريس احمد زكي

اشهر مشاهير الاسلام رفيق العظم

الشوقيات احمد شوقي

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التي كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنري دى كاسترى ترجمة احمد فتحي زغلول .

العصبية الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين في ليفربول بانجلترا عربيه محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء اوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامي في نشر المدنية وارتقاء العمران .

سير تقدم الانجليز : احمد فتحي زغلول .

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا في المنار :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبي ، المستقبل للإسلام : محمد توفيق
البكري ، الإسلام والنصرانية في العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب علي أبو الفتوح
« خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة
الإسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس
حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق
هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة
ويتوهمون أن الأحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل
لها في الأصول الإسلامية ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلا لا يلبث
أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقدير
المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد إلا
أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها
قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد
المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد
وتنزهاها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين
لفهمها دون ملل ، وأشار إلى كتاب الخراج لأبي يوسف فقال : عثرت
في هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت إلى نظمها في هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة
الإسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدي وقال أن فريد وجدي على
طريقة الأستاذ الإمام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الإسلامية
في القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ
وأنه لم يكن يوجد عندنا كتاب في الدين إذا عرض على متمدني هذا العصر
يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلفتهم إلى النظر إلى الدين يتمثله سائقا لهم
أنى سمادة الروح والجسد على الوجه الذي يناسب زمنهم وعمرانهم
حتى قام حكيم المسلمين في هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده وألف
رسالة التوحيد الشهيرة وأمانا الآن كتاب تطبيق الديانة الإسلامية على
نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذي فاق الشيوخ أناة وكمالا عملا يعلمه

محمد فريد أفندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر
نواميسه وبين أن العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانها كلما ترقى وزاد
الناس رسوخا فيها زادوا قربا من الاسلام وكشف عن براءة الاسلام
من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاسترقاق وأن الاسلام راعى
ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معا
وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف
مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا
وبحسبا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى أصدره أحمد شوقى أمير الشعراء
مقال : ان للشوقيات أبواب يدخل فيها أنواع القول وفنونه وضروبه
وشجونه من آداب وأخلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ،
وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له
فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصوادع ، وأما أسلوبه
فحطوب رائع ، وأما قديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ،
فجعله مقصور على أمراء مصر (اسماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء
فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسئل عن سائر الشجون
وما فيها من الفنون والفتون (م ٥٦٦/٢) .

الفصل السادس

وفيات الأعيان وكتاب المنار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة في العالم الاسلامى .
كله سواء اكانوا من أنصار حركة الاصلاح أم من أعدائها ولم يفتها
أن تذكرهم في مناسبات الأحداث وأن تمنعهم في حال الوفاة وكان موقفها
معتدلا كريما الا مع قلة قليلة من خصوم الأستاذ الامام فى الأزهر أمثال
الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيفى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات
واضحة مع عبد العزيز جاويش وغريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم
المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بريم
والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق
صدقى وجمال القاسمى والكواكبى .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامام حتى ولو اختلف منهجهم كما فعل
مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : الا أنه ينقصه من صفات الزعماء
السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشمل
سعة الصدر والحلم والموارة والتمويه والخداع وان شئنا قلنا والبراعة
والكذب الذى يحتل التأويلات الكثيرة والتلق والبراعة فى الاستمالة
والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعتة أنه مستبد لا يخضع
للسورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثريين وهذا خلاف
ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة
العلمية الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأفغانى
كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى
أضرت بدينهم ودنياهم لاسيما القلو بتعظيم القبور وطلب الحوائج من
الأموات .

وأشار الى أن الكواكبي في كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي وفضله فيقولون أجدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجيء يوم يستدل فيه هذا الرحالة بتصريح بالتلميح ، وأشار في (مجلد ٤) الى بعض كلام في كتاب أم القرى عن الدولة الطلية فقال انه يؤلم أكثر الناس ولا ينبغي أن يصرّفه إلا الخواص .

ولا ريب أن معظم اعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار في غير موضعه الى أسلوبه في التعليم ودعوته الى ايقاظ أهل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقة التعليم المثلّى فلقى في ذلك من العناء ما كان يلقيه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفي ليلة الأربعاء أتم كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق وقد احتفل بتمامه في الرواق العباسي وأشار الى اهتمامه باختيار الكتب وانه يضعف العلم في القرون الأخيرة صار العلماء لا يقرعون الا كتب المتأخرين والتي كتبت على الشروح والحواشي المألّى بالمنازعات والمحاورات ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التي لم تشرح ولم يعلق عليها الحواشي فعملنا الأستاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليها شرحا يبين غوامضها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنا كيف نهض الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أفلاطون وأصلح رأى أرسطو في الماهيات وكان من آيات شجاعته هي رفع القيد الذي هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذي لا ينبغي أن يقر رأى ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الانسان حرا خالصا من رق الأغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هي طريقة معرفة الشيء ببليله وبرهانه ما جنينا من علم المنطق ، وانما هي طريقة القرآن الكريم الذي ما قرر شيئا الا واستدل عليه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطقي

ان يضبط الاستدلال كما ان النحو له لضبط الالفاظ في الاعراب والبناء .
ويتحدث السيد رشيد رضا عن مدرسة الشام السلفية بمناسبة وفاة العلامة محمد جمال الدين القاسمى (م ١٩١٣/١٧) ويشير الى ان مدرسة الشام السلفية قوامها عبد الرازق البيطار ، مجدد مذهب السلف في الشام ، وطاهر الجزائري ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ، وكرد على ، وقد جاء مصر مع البيطار في عهد الامام وقد مضى القاسمى في الدعوة الى الاصلاح المدنى لحاجتها الى الاصلاح الدينى وتصدى له التقليديون وأخذوا يكيدون له .

ومن أولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح في الهند الاسلامية :
وفي مقدمتهم شبلى النعمانى وشوكت على : يقول في رثاء شوكت على (م ٥٥٧/٣١) انه تربى وتعلم في البلاد الانجليزية وتخرج في مدرسة اكسفورد الجامعة وعاد الى الهند متفرنجا في زيهِ وهيئته واكله وشربه وأثاث داره ولقاء زواره وكان يظن أن هذا يقربه الى الانجليز الحاكمين في بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزد الا امتهانا منهم فاستيقظ من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائر ملته فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصام بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره النابتة الجديدة من تقليد الافرنج في ازيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقناع الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومى والسياسى » .

كذلك فقد اولت المنار اهتماما لتراجم عدد من اعلام الاسلام :
الشافعى ، المعرى ، الغزالى ، شاه العجم ، ونشرت شعرا لمصطفى صادق الرافعى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمود سامى البارودى ، وشوقى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم .

الفصل السابع

المجلات والصحف

- ١ -

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من أنها مجلة شهرية) فقد كان لها شخصيتها وموقفها من مختلف الصحف اليومية الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفها القائم على التقدير البالغ لجريدة المؤيد فهى دائما تتابع موضوعاتها وتعددها أصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخديو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد أنشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى بينما كانت جريدة الاهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى ، وقد أشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القباتى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الاول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثانية على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتلة على وجه نالت به ثقة السواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرقي على عمل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقد سمي العشر الاول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبى أن يكون أسوة للذين يوعوا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الإصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامة مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الإصلاح بزعامة الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتلال يقول رشيد رضا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك أصفر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما وأقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من أمر هذه الجريدة ولكن نظن أنها إما أن تتلو تلو غيرها إما أن لا تروج أما مواضيعها فهى فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هذه الكلمات أخيرا ذكر الاسلام والدين أما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يفيد الأمة الا بقتبع ما يذكر منها من الجرائد الامرنجية .

وقال : انتقدنا عليها أمرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض الناس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهنات الهينات تنال بسمى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الاعلى بالكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة أسمى من أن يتناول اليه أحد وقد سلم السواد الأعظم من المسلمين زمامه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هى كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلا : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلى بالوسامات والألقاب الضخمة ورجل اتخذ هذه الأجانب لخداع بسطاء المسلمين بايهاهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأى أمير أن يناله ولاية جمعية أن ترحزه عن مكانه ليزيلوا هيئته من القلوب ويقتنوا نفوس العامة الأغرار بامكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل أفندى يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطمع الأشعبي

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلقي القول فيه على عواهنه في خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفي موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامى واللواء الوطنى فيقول :
بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامى ويثبت أن المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم فى الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية فى أمر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها فى الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عمياء من معناها انه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم فى مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنار .

ويقول فى موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامى (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى أنها جاءت من الهند وجاوة الآستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقة الأمم والشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى ولعلك لا تجد شيئا من هذا التبجح فى جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٣ —

ويواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التى هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها فى الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذى خصصته قليل فهى تنفق أكثر منه فى ضيافة أحد ضيوف الأمير يوما واحدا وتنفق أكثر منه فى مساعدة التمثيل الفرنجى الذى يرى جمهور الأمة أن اثمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر فى البال أن يلقي هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصرى مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف

الصحيحة التى ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه فى ظلمات
الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد
فى الكتب الغربية غير تلك المضار التى استقرغ كل ما فى جوفه وجعله
وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه لم يكتف الكاتب بتحقيق جميع العرب
والقدح فى كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب
الوطن هى الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده
لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هى الغلو
فى التعصب القبطى وكراهة كل شئ ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم
ولم يضرهم (م ١٣/٩٠٨) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافع عن مفهوم الاسلام
ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفى السيد (م ٧/٣٩٩)
يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشيا
اياهم بأنه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواه : من اطراف
الأمراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجيب رواج دعواهم
خدمة للدين الذى هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملأ الآفاق هذه
الأيام ضياح بعض الجرائد التى تسمى نفسها اسلامية من الشكوى
من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن به والتخريض على ترك جريدته
لأنه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ يطلب الولى على عدم اثبات كفاءته ،
اذا كانوا يغارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واحكامه .
ولماذا يمدحون الأعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذى
يكون فى قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا
وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق
عندما اراد التشديد على النساء المنتهكات فى الشوارع والأسواق وتبعه كثير
من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل
فانه عندما توفى رثاه فى تقدير شديد (م ١١/٦٠) فقال :

أندى الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم فى عالم السياسة حقيقية
وأشداهم فى دهاء بلده تأثرا وأكبرهم ولما ونصرا ، قضى عن أربعة وثلاثين

ربيعاً غصى نضجها في السياسة ونصف هذا النصف في الصحافة بإذلا
 مما أخذ فيه جفيع أو قلته ومفرغاً فيه منتهى وجدانه وشغوره . وقد أعجب
 في الثواء بجمهور الكارخين ثم تعجبت له نبلته الكبيرة من المتعلمين بل عشقته
 بعض طلاب الحقوق عشقا نولك قلوبهم ملكا فظهر أثر تحزبها في تشجيع
 بجنارته بمظهر غريب ما روى مثله من نسب أو قريب . كان محطتي كامل
 هو المحلى في هذا المظهر من أطوار التجلى ثم صار داعية الثابتة الى هذه
 الوطنية وهاديتها أو ساقيتها وجاريتها ، رأيت الدعوة موجهة الى جعل
 الوطنية جنسية للمسلمين فأنكرتها في المسار بالبرهان التين وأكثر
 من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن . وانتقدت عليه الأرجاف بمسألة
 الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سعيها وبينت له
 وجه الضرر في ذلك الأرجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وانجى
 علينا بعد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه
 ولو بهضوما ونصر من واقفه ظلما كان أو مظلوما وكان الأولي من أسباب
 انتشار اللواء كالمبالغة في ذم المحتلين وانتقاد الحكومة ومدح الأمة وتحمي
 الانتقاد عليها والتنويه بالاستقلال والتعجيل بطلب محو الاحتلال .
 (م ٦٠/١١) ومن مواقفه خطبة مصطفى كامل في تمجيد محمد على
 بعد انتقاد المنار أعماله (م ٢٣٢/٥) .

— ٣ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف في وجهة
 النظر الاجتماعية وق موقف السياسة من التقريب وتأييدها أفكار القزوة
 وضمها مجموعة المعارضين للفكرة الإسلامية أمثال طه حسين وعلى
 عبد الرازق ومحمود عزيم وحزبهم المتشددة الدائمة للإسلام . يقول صاحب
 المنار : « ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب
 الوفد المصري وهو ان المنار داعية الدين الاسلامي والمدافع عنه والسياسة
 تقوم بدعاية الحادية تريد ان تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطتين
 الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتدين وما كتب عن
 مسائل شخصية مختلفة كزعما ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة
 ولا مذهب متشابة يكون مذهباً مسيحياً أو شيعياً أو يهودياً وثارة بوزيا
 لو يرميها وثارة مذهباً وما أشبه ذلك ، ولعل جريدة السياسة تريد

أن تستدرجنا بهذا الى منازلها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون أمامها فيه ، ان الجرائد البذئية في هذا العصر ، قد بذت الثمراء الهجائين في العصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمل حياها ، ولو بالطنع الشخصي في خصومها كما كانت القبايل تختار لها شاعرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلطم بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها في حملتها دون سفيهها ولو كانت السياسة ترد على ما نشره من تنفيد بعض نشرياتها الاحادية عملا بحرية الراى والنشر التى تدافع به عن الكتب الاحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا في عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة) قد قرر لمرعوسيه محررى جريدة السياسة لأنه لابد من قتل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهذا القتل أن يكون بأسنة افلامهم الطعانة ، القتل المعنوى أو الادبى ، اتهمته جريدة السياسة من قبل أنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الامر عباس حلمى الخديو السابق ، وكذبت الحكومة هذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذى انكر التشريع الاسلامى من أساسه يضاعف ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالرصاد لجميع انواع الدعاية الاحادية التى تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة المصرية التى تزعم أن مصر بدعايتها وبغناية مدرسة الجامعة المصرية ستنتسخ بها ثقافة الاسلام التى مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها فى ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه فى مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنا الأزهر نفسه وهو الآن مثنى جراحا وسنقضى عليه ببضغ مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم وسنقضى بحول الله وقوته على اباطيلهم (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه أيضا مع مجلة الحديث الطبية وصاحبها سامى الكيالى فى مواقفه التفريرية (م ٢٨) يسوؤنا أن هذه المجلات أضرت على

الأمة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الأجانب الغزاة باستعدادها .
 واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وأنها تعمل على تقطيع الروابط
 التي توحد أجمعها وتجمع كلمتها من دين و لغة وأدب وتشريع وهو ما نعتبر
 عنه بمقوماتها ومن عادات وأزياء وهو ما نعتبر عنه بمشخصاتها ، ذلك
 مثل بعض محرري جريدة السياسة أو مجلة الهلال بمصر (كسلامة موسى
 وقلة حسين ومحمود عزوي) المتحليين لأنفسهم صفة تجديد الثقافة ،
 وانبغري مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بأرائهم مثنية عليهم ،
 فإن كل محرريها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتا ينوه بهم بما يعزى قراء
 مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل
 ما اشرنا اليه من مقومات الأمة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاة مدم وأفساد
 فيها ، هم عاقون لأمتهم هادمون لهدايتها وتشريعها وآدابها بل ساعون
 لابتناع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهمون الناس في هذه
 الأيام أنهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر
 الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو أول من أراد أن يجعل
 مصر أوربية وله في ذلك كلمة مشهورة فكان أول عشرة منها خباها فقد ملكه ،
 أما جده محمد علي فانما أخذ عن أوربا أسباب الثروة في صناعة وزراعة
 وأسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يملك أفريقية
 دون تقليد القردة في الآراء والزينة والمعدات وحرية الفسق والفجور والكفر
 التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

- ٣ -

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها
 (م ٦١٩/٢٩) فقد أخذ عليها وجهتها التغريبية من أول عدد منها حيث
 صدرت بإشراف على عبد الرازق وتنويعها بكتابات طه حسين وسلامة
 موسى قال : صدر العدد الأول فاذا هي مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة
 العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس
 والأفغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قليل
 في التعبير ، هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى
 الهجوم عليهما . وأشار الى بحث طه حسين « الذي اشتهر بالظعن
 في الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف في ضمير
 الغائب واستعمال اسم الإشارة في القرآن الكريم وأشار الى بحث سلامة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهاك الذين يعبر عنهما بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكمالين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الالحاد وهدم الاسلام .

- ٤ -

ومن أخطر معاركه في هذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التي أصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « نفى مكتوباته ما يدعو الى العجب في مخالفة اجماع السلف الصالح في الاتباع وتأييد الحلف الطامح في الابتداع واقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها والطواف بها كالكعبة واستلام ركنها وتقبلها كالحجر الأسود » . وأخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن أمور المسلمين في بعض البلاد الاسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهي مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها أمرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها في هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذي يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثاني الدقة في اختيار كل ما ينشر في المجلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع في تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشيد رضا في مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد في كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

- ٥ -

وقد أشار السيد رشيد رضا الى أنه وضع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو : (هذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الفرض منها

بيان حقيقة الإسلام وأحكامه وإصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ،
والوطنية والسياسية ورفع مستوى الإنسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان
حاجة البشر إلى إصلاحه في كل زمان ومكان ولأسيما في هذا الزمان الذي
طفت فيه الأخطار المادية على الأمم فأمسدت آدابها وعلى الدول فحصرت
كل منها هما في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعيف .

الباب الثاني : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالإسلام وآدابه وأحكامه
وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وجل عقد المشكلات التي تعرض
بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة
وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الإسلام ،
ومقاومة تيار الاتحاد الذي انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العبادات
ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعمد فيه على كتاب المثل
والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التربية والتعليم : التربية الدينية والجسمية
والعقلية والنفسية :

العقاية : تربية ملكة الاستقلال في الفهم وحرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الإرادة
التي عليها مدار الأعظم في النهوض بالأعمال وتربية الخيال بالأساليب
المصورة للمعاني الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها البيوت
ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقرير الصحف والكتب والمجلات
(وما ينشر في الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هي الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من وهي ربهم
ولا سنة ماضية من سنن نبهم بشروطه المعروفة في مهلها فإن الاجتهاد
مع وجود النص ممنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعها .

الفصل الثامن

الجمعيات الإسلامية

كان مقصد انشاء الجمعيات الإسلامية من أكبر أهداف حركة الإصلاح باعتبارها المنطلق الحقيقي لتوجيه النفوس الى فهم الإسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الأول الى انشاء الجمعيات الإسلامية وعقدت فصولا مطولة عن الجمعيات الدينية في الشرق وأشار الى الجمعية الخلدونية في تونس وإلى جمعية شمس الإسلام والجمعية الخيرية الإسلامية في مصر ، وإلى ندوة العلماء في الهند بوصفها منطلقات جديدة في مواجهة جمعيات الشباب المسيحية التي نشرها التبشير في أغلب بلاد الشرق ، وقد أشبال المنار في تقدير بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات في القاهرة هي جمعية مكارم الإسلام وجمعية التعليم الإسلامي وجمعية النهضة الأدبية ، وقال ان بعضها أنشأ مدارس جعل التربية والتعليم فيها على منهج الدين وسننه القويم كما أنشئت مدرسة أخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى أبناء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الإسلام وجمعية مكارم الاخلاق من النهوض والانتشار وبرزت أسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلامذتها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الأميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر أعداء الإسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وأشاع أصحاب الجرائد الضالة ان الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، اما جمعية مكارم الاخلاق فقد كان راعيها الاستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك أشاروا الى على ابو النور الحربى وخطابه المؤثر في تهذيب الانسان وتربية الأبناء .

انتهى القسم الاول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحث

صفحة

٣

موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية

١٧

الباب الأول : العروة الوثقى

٢٩

الباب الثانى : مجلة المنار — محمد رشيد رضا

الباب الثالث : النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح)

١٠٩

كما صورها المنار

٢١٣

الباب الرابع : أحوال العالم الإسلامي

٢٤٩

الباب الخامس : ميادين العمل الصحفى الإسلامى

رقم الإيداع ٨٣/٣١٩٢